# المقامات النظرية

للأديب السيد أبي بكر بن محسن باعبود
(من علماء القرن الثاني عشر)

تحقيق
عبد الله محمد الحبشي

طبع على نفقة السيد
صالح بن عبد الله باعبود

# المقامات النظرية

# المقامات النظرية

للأديب السيد أبي بكر بن محسن باعبود
(من علماء القرن الثاني عشر)

تحقيق
عبد الله محمد الحبشي

طبع على نفقة السيد
صالح بن عبد الله باعبود

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم:

تحدَّث الكتاب في العصر الحديث عن المقامات كثيراً ولكن أحداً منهم لم يشر إلى مقامات هامة تكون في حقيقتها أقرب إلى الجانب القصصي الفكه منه إلى تلك التي ابتدعها مؤسساً هذا الفن الهمذاني والحريري.

وهذه المقامات لمؤلف يمني مهاجر عاش في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ودخل بعض بلدان الهند متنقلاً بين ربوعها وقد اسبع على مقاماته أعلام وبلدان الهند حتى ظن من ظن أن المؤلف من أهل الهند وهذا يخالف الحقيقة.

بل أن المؤلف وهو العلامة الأديب أبو بكر بن محسن باعبود العلوي ظلّ مجهولاً حتى في وطنه الأصلي ولم نجد من يترجم له من أهل حضرموت وقد سقط ذكره من تاريخ الشّعراء الحضرميين، ولولا أنه خلّد إسمه في بعض كتاباته لما عرفنا عنه شيئاً البتة.

وقد عرفه العلماء الهنود بمقاماته التي وجدناها عندهم تحمل إسم «المقامات الهندية» وكأنهم غلّبوا الكثرة على القلة وفي المخطوطة التي كتبها أحد الحضارم بالهند وجدناها تحمل إسم «المقامات النظريّة» ولعلّه الإسم الذي ارتضاه المؤلف لمقاماته.

وأقـدم من وصفه من علماء الهنـد هو العـلامة عبـد الحي بن عبـد العـلي الحسني المتوفي سنة ١٣٤١هـ في كتابه «نزهة الخواطر» ٦ : ٤ يقول:
«الشيخ العالم الكبـير العلامـة أبو بكـر بن محسن باعبـود العلوي السورتي أحـد الأدباء المشهورين من أهـل اليمن قدم الهنـد وسكن بمدينـة سورة لـه المقامـات الهندية فيها خمسون مقامة غزا روايتها إلى الناصر بن فتاح ونشأتها إلى أبي الـظفر الهندي صنفها سنة ١١٢٨».

وذكره مرة أخرى في كتابه «الثقافـة الاسلاميـة بالهنـد» ص ٥٣ ط دمشق سنة ١٤٠٣ وزاد في ترجمته قولـه «أن الشيخ محمـد شكور المجهـلي شهري شرح هذه المقامات».

قلت: أخذ تاريخ تصنيعه لمقاماته من كلام المؤلف في آخر مقامـاته حيث يقول «وكان الفراغ من تسطيره وتنميقـه وتحريـره يوم الأحـد ثامن جمـادي الثاني سنة ١١٢٨ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصَّـلاة والسّلام والحمـد لله رب العالمين» انتهى كلام المؤلف وسيأتي فيما بعد أن المؤلف ظـل ينقح مقـاماتـه حتى سنة ١١٣١.

ثم جاء بعد الحسنى جماعة من علماء الهنـد العصريين الذين عنوا بتـاريخ الأداب العـربية في بـلادهم ومنهم الدكتـور زبيـد أحمـد الـذي يقـول في كتـابـه «الأداب العربية في شبه القارة الهندية ٢٢٩ ط العراق:

المقامات الهندية: ألفها السيد أبو بكر بن محسن العلوي على نمط المقامات القديمة، ولا شيء يعرف عن المؤلف سوى أنه كان عربياً سكن لوقت معقول في الهنـد، والتاريـخ الجمـلي في النهـايـة يشـير إلى أن الكتـاب ألف سنـة ١١٢٨/ ١٧١٥

وسبب تأليف هذا الكتاب ذكر في المقدمة المختصرة وهـو أن المؤلف خرج ذات مرة في رحلة اشترك فيها أشخاص من متعلمين وغير متعلمـين، وقد أخـذ معه مقامات الحريري وبديع الزمـان، وعندمـا جلس يقرأ واحـدة منها ضـج به أولئك الذين لا يعرفون العربية والأدب العربي ولم يعجبهم أن يقرأها، ومن ثم اقـترح عليه بعض الحـاضرين أنـه يجب عليـه أن يكتب كتـابـاً في محـاكـاة تلك

المقامات القديمة في أسلوب سهل بسيط بحيث يفهم دون الرجوع إلى المعاجم، وأدرك المؤلف قيمة مثل هذا الكتاب، وعلى الفور بدأ هذا المشروع الأدبي وأنهاه بسرعة، وهو مكون من خمسين مقامة سمى كل واحدة منها باسم مدينة هندية مثل: المقامة السورتية والأحمدنكرية، واللاهورية.. الخ والراوي عنده أبو الناصر بن فتاح الذي يروي مغامرات وبطولات أبي الظفر الهندي، وهذان الدوران هما الدوران أنفسهما اللذان لعبهما عيسى بن هشام وأبو زيد على الترتيب في مقامات الحريري، وطبيعة المقامات الهندية أنها في بعض الأحيان مقامات الحريري وبديع الزمان نفسها، ونذكر هنا مثلاً أو إثنين:

فحوى المقامة الهندية كما يلي: يقول الراوي أبو الناصر إن وصفاً جميلاً للهند قد جذبه إليها فسافر إلى ذلك القطر ووصل إلى مدينة سورت، وهناك نعم كثيراً بزيارته لها، وذات يوم بينما كان يمشي في المدينة قابله رجل وأخذه إلى قصر الوزير وقدمه بصفة عالم وشاعر ومادح للوزير في فصاحة وروعة وكان الوزير فرحا بالقادم الجديد، وقد أمر له بعطية سخية وثوب ممتاز، وقد تلقى أبو الناصر كل هذه الأشياء باستغراب، ثم ترك الإثنان بيت الوزير، ثم أعطى الرجل الغريب لأبي الناصر قليلاً من هذه المكافأة قائلاً أنه يجب عليه أن ينتظر حتى يعود من هذا البيت القريب، ودخل البيت واختفى بسرعة، وظل أبو الناظر دون جدوى ولشد ما كانت دهشته عندما سأل عن الرجل فقيل له أنه أبو الظفر الهندي.

وفي مقامة أحمد نكر يروى أبو الناصر أنه كان يوماً يسر في شارع معين فظهرت أمامه عرضا امرأة جميلة تملأ الماء من بئر وكان يحس العطش فسألها الماء، وبعد أن أطفأ ظمأه أخذ يماشي المرأة فجاءه رجل وأراد أن يأخذها منه لتمشي معه فرفضت المرأة أن تذهب وصاحت تستغيث فتدخل أبو الناصر بينهما فادعى الرجل أنها زوجته هربت منه والمرأة تنكر دعواه هذه في بداية الأمر ثم تعود وتصدقه قائلة حسناً أنا مستعدة لأن أذهب معك لكن يجب أن تعطيني شيئاً للطعام فأجاب المدعي أنه فقير جداً وليس معه نقود. فقال ولماذا لا تستلف بعض النقود من هذا الرجل المهذب؟ فرفض الزوج الماكر هذا الاقتراح، وكان

أبو الناصر قد لمس سبب النزاع وأحس بضرورة إعطائهما بعض المال من جيبه الخاص، فأعطاهما وعندما ذهبا بعيداً سمع أبو الناصر مصادفة أحدهما يقول: ما أجمل الخطة التي دبرناها، ولما راقبهما علم أن الرجل هو أبو الظفر الهندي.

وأسلوب الكتاب ليس مزخرفاً ولا معقداً وإنما سهل بسيط ويبدو أن Mr. Chencry لم يعلم بهذا الكتاب عندما ترجم المقمات الحريرية فلم يذكره في مقدمته بالرغم من أنه ذكر كل كتب المقامات المؤلفة قبل وبعد مقامات الحريري، وفي الغالب لا توجد مكتبة أوروبية تحتوي على مخطوطة منه وقد طبع على مطبعة حجرية في الهند أكثر من مرة، وتقتني مكتبة المكتب الهندي نسخة منه.

هذا ما ذكره الدكتور زبيد أحمد عن كتابنا ومؤلفه وفيه من التّحليل والدّراسة ما يشفي الغليل. وهو وإن عرف عند جماعة الهنود فهو قد جهل شأنه عند من تصدَّى لفن المقامات من أدباء العرب المعاصرين وأنت تجد ـ مثلاً ـ أوسع من ألف في هذا الموضوع وهو الدكتور يوسف نور عوض يقول عن مؤلفنا في كتابه «من المقامات بين المشرق والمغرب» ص ١٤٥.

«وأما في القرن الثاني عشر فنلتقي بطائفة من كتاب المقامات يأتي في مقدمتهم أبو بكر بن محسن با عبود صاحب المقامات الهندية وعددها خمْسون ذكرت في فهارس دار الكتب ويبدو أن النسخة الوحيدة منها مفقودة أيضاً غير أن الدكتور رشدي أشار إليها في رسالته ومن هذه الدراسة نعلم أن با عبود في هذه المقامات أراد أن يقدم نماذج سهلة من هذا الفن على عكس النّماذج التي وجدناها عند الحريري وابن الصيقل الجزري وقد أسند روايتها إلى الناصر بن فتاح واسند بطولتها إلى أبي الظفر الهندي السياح وتدور أحداث المقامات في بلاد الهند ويكون الراوي فيها ضحية لحيل البطل.

والمقامات على وجه الإجمال تنقل الفن المقامي نقلة كبيرة في فن القصة القصيرة وموضوع المقامات يدور حول مشكلات المجتمع ولكن ليس عن طريق الإشارات واللمحات الفنية الجميلة.

على أن الدكتور يوسف نور عوض لم يطلع على مقامات الأديب أبي بكر

بن محسن با عبود وإنما رجع إليها بواسطة الدكتور محمد رشدي حسن في كتابه «رسالة في تطور فن المقامة» الذي لم نقف عليه وإنما وقفنا على كتابه «أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة» وهو لم يذكر فيه مقامات با عبود.

ومن خلال تحليل الدكتور محمد رشدي حسن لمقاماتنا هذه ندرك أسبقية صاحبنا الأديب باعبود في نقل الفن المقامي من مجال الوعظ والتعليم والبلاغة إلى القصصي الحديث الممتع الذي عرفناه في الأداب الحديثة وهذه الظّاهرة تستحق من الباحثين الدراسة والاهتمام حيث يكون أديبنا صاحب ريادة كبرى لا تنسى.

قلت: وإن كانت هذه الرّيادة يكون نصيباً منها لمبتكر هذا الفن البديع الهمذاني حيث رأيناه بشرف على هذا الفن بإطلالة بديعة فنية إلا أن الجانب القصصي يظل مقصوراً على بضعة مقامات لا تستوفي كل شروط القصة، وقد وجدنا الدكتور مصطفى السّكة ينازع للبديع الهمذاني هذه الربادة ويقول في كتابه «بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية» ص: ٤٠٧ ط مصر سنة ١٩٧٩ «يمكن أن نعتبر كثيراً من مقامات بديع الزمان قصصاً فنية ناجحة وبالتّالي يكون أديبنا الرائد الأول للقصة العربية» ومثل هذا القول لا يعتمد على الواقع وإنما يكون من باب التكلف والاقتسار إلا أن يكون قد أعمل على مقامات الهمذاني وغيره شيء من الزيادة والاصطناع وهذا يكون في نفسه عمل آخر ينسب لصاحبه كما فعل بعضهم.

نعم نجد من أدباء العرب الذين كتبوا عن فن المقامات - وهم أساتذة كبار - من جهل أديبنا ومقاماته فينسى ذكره الأديب شوقي ضيف في كتابه «المقامات» وكذا عبد الرحمن ياغي في «رأي في المقامات» وغيرهما.

وكان قلبهما قد تنبّه لأهميّة هذه المقامات في القرن التاسع عشر الميلادي الأب لويس شيخو المتوفي سنة ١٩٢٧م. فأورد منها مقامتين في كتابه مجاني الأدب ٢: ٧٥ هما المقامة الجونعورية والمقامة الصرنجية.

في مشجر أنساب بني علوي يوجد إسم لشخص - لعله صاحبنا - هو:

أبو بكر بن محسن بن عبدالله بن أبي بكر بن حسين بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن باعبود بن عبدالله علي بن الشيخ محمد مولى الدويلة، فهو من آل باعبود(خربشاني) كما يوجد من آل باعبود فرعين آخرين هما آل ديجان وآل المغفون. ولم يذكر صاحب الشجرة في أحد منهما اسمه أبو بكر بن محسن فدلّ هذا على أن المؤلف من الفرع الأول من آل باعبود «أعني فرع أولاد علي بن مولى الدولة».

ولولا أن المؤلف حفظ لنا اسمه في بعض كتبه لما عرفنا عنه شيئاً وقد وصلنا من تلك الكتب التي ألفها - بجانب مقاماته هذه - مجموع ديوان السّيد عبدالله بن جعفر بن مدهر (مجلّد مخطوط يوجد بمكتبنا في حضرموت) ومنه نَسْتقي منه بعض المعلومات الهامة التي تتعلّق بحياته في الهند وبعض مؤلفاته، وكأنه عاش في الهند ما بين عامي ١١٢٠ و١١٣٥ إن لم يدركه الموت بها إذ لا يوجد مصدر بين أيدينا يدل على رجوعه إلى حضرموت أو اليمن، وكأن مقاماته التي ألفها في الهند جعلها تسلية لنفسه وشحذاً لقريحته الأدبية كما فعل بعض الأدباء العمانيين في أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

وفي مقامات باعبود نتعرف على طابع الرحالة المغترب حيث نشأت هنالك في بلاد الهند جالية حضيرمية كبيرة عرفت يتحفّزها وأقدامها على المجهول ونبغ منهم بجانب نجاحهم في الجانب الاقتصادي جماعة من الأدباء ذكر منهم صاحب نرخصة الخواطر نخبة من الأدباء والعلماء والدعاة الذين نشروا الطرق الصوفية والإرشاد استعصيناهم في كتابنا «الأدب الحضرمي في المهجر».

وفي الهند كان أديبنا من جملة إخوانه الحضارم يدأب ويكد في سبيل العيش وكانت فصاحته وثقافته الأدبية جعلت له مكانة بين زملائه من الحضارم والهنود، وكأنه أعطى قضاء العسكر بمدينة سورة وفي الهند تزوج وأنجب أولاداً ذكر منهم في مجموع شعر مدهر ثلاثة هم: محمد ولد سنة ١١٢٥ وزينة ولدت

سنة ١١٢٧ ومحسن ولد سنة ١١٢٩ وكان له أخ يسمى علوي توفي بمدينة دهلي سنة ١١٢٥، وقد تلقى تعزية بموته من صديقه عبدالله بن جعفر مدهر يقول فيها:

صبراً على مختوم رزء الحمام | فالصَّبر والأرْزاء شان الحمام
والمرء ذو التّسليم من عنده | سيَّان تسجيع الرثا والحمام
والموت إن غمّ فقد عم بل | من عظمه قد هان عند الأنام

إلى آخرها:

وتدور أكثر أيام حياته بالهند في مراسلات ومساجلات أدبية وعندما فرغ من تأليف كتابه المقامات سنة ١١٣١ يكتب إليه صديقه عبدالله بن جعفر مدهر.

طالع مقامات بها | ملح الغنون تأهلت
واجعل سناها كما | لعلا معان أشكلت
تأليف مولانا الغري | إحسابه تأصّلت
فاشكر علاه مؤرخاً | أحلى مقامات علت
(١١٣١)

وقبلها كتب إليه الذكور يؤرخ سنة شروعه في كتابه تلك المقامات وهي سنة ١١٢٨:

تجلّت فجلّت براعاته | وراقت فرقت عباراته
همام مقامات اسعاده | علت بالمزايا وحالاته
ومنها التي عام تاريخها | سمت بالبهاء مقاماته
(١١٢٨)

وفي مقدمة كتابه المقامات يصف تلك المجالس الأدبية التي كانت تحف بها نخبة الأدباء من العرب المهاجرين من أهل اليمن وحضرموت وكانت الأسرة العيد روسية من أشهر البيوتات التي حف حولها رجال الأدب والتّصوف في ذلك الوقت لما لها من جاه ومكانة. وكانت مدينة سورة مقر تلك الزّعامة وقد صور لنا المؤلف شيئاً من رحلته واغترابه وصلته بآل العبدروس في مقدمة كتابه يقول:

«وبعد فيقول خادم خدّام الحديث النبوي السيد أبو بكر بن محسن باعبود العلوي لما رماني البين بسهام الاغتراب وفارق بيني وبين الوطن والأحباب خرجت ذات يوم بعد صلاة العصر إلى منتزه مع أدباء العصر».

وهو يذكر وصوله إلى الهند واتصاله بآل العبدروس فيقول على لسان النّاصر بن فتاح «قد شاع وذاع أن أرض الهند جمعت جميع المحاسن الدنيوية وفيها من الراحة ما يعين على المطالب الأخروية فاشتقت إليها اشتياق الصّادي إلى الزلال والمهجور إلى الوصال وبقيت أفكر في الحيلة التي توصل إليها وترميني بأيّ وجه عليها فقيل أن أهل هذه المدينة يريدون أن يبعثوا إليها سفينة فاتخذت الأهبة وتهيأت لركوب مركب الغربة وتوّكلت على مالك الملك وركبت في ذلك الفلك ومنذ مشينا من المراسي ونحن نقاسي من الأهوال ما نقاسي وحين خفنا على ذهاب النّفوس لاح لنا بندر سورة المحروس فنزلنا إلى تلك الأرض المؤنسة والبلد التي على المحاسن مؤسسة فصغر الخُبْر الخَبَر ولم يسمع السمع بأحسن مما رأى البصر واقتبسنا أنوارها القابوسية واغترفنا من بحارها القاموسية واستمطرنا سحائبها العيدروسية ومكثت بهامدة وأنا في أنس بعد تلك الشدّة».

وهكذا كانت حياة المؤلف في الهند ما بين بحث ومذاكرة علمية ومساجلات شعرية وقد جمعها في ديوانه الشعري إلا أنه فقد من بين ما ضاع من تراث الحضارم في بلاد الهند وكان العلامة الأديب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس المتوفي سنة ١١٩٢ قد حفظ لنا شيئاً من شعره في كتابه الذي خصصه لأعيان أسرته المسمى مرآة الشموس في مناقب آل العيدروس من ذلك قصيدة قالها مؤلفنا الأديب با عبود في رثاء العلامة علي بن مصطفى العيدروس المتوفي سنة ١١٢٨ :

| | |
|---|---|
| ما لي أرى الأيام كالأعوام | وأرى حديث الناس كالأحلام |
| والأرض مقفرة ونور سمائها | قد شيب بالاقتام والأظلام |
| أجرت أموراً تقتضي ما شاهدت | عيناي أم ضرب من الأوهام |
| قالوا اتئد هدمت ما شيد بال | إحسان والأنعام والإكرام |
| هذا عفيف الدين بجل المصطفى | والعيدروس الفضل والإلهام |

من زانت الـدنيـا بـه وبـأصله     أمسى جـوار الـواحـد العـلام

إلى آخرها:

وله مساجلات وقصائد شعرية أخرى حفل بها ديـوانه، وقـد أورد بعضها في مقاماته على لسان أبي الظفر الهندي وراويتـه، وهناك قصيـدة أخرى أوردهـا السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس في كتابه مرآة الشمـوس لأديبنا كـأنها تعبّر عن ضيقة ببلاد الهند وتذمّره من المقام بها وبأهلها يقول فيها:

ضاق الفضا عن أمور كنت أخفيها     وحين بان اصطباري كدت أبديها

قاسيت بالـهنـد أهوالاً وأعـظمها     مكثى بـدار هـوان ذل بـانيهـا

لا سيـد يـرتجى منـه النّـوال ولا     ذو فـطنـة وأديب يلتـقى فـيهـا

تـالله قـد سئمت نفسي مـا لقيت     منهـا ومن أهلهـا لكن أداريهـا

وفي شعره نجد الإحسـاس بالغربة وتـبرّمه بعيشـه في بلاد الهنـد وكأنـه لم يعجبه المقام بها وقد وجدناه يكيل لأهل الهند التهم العظام ويصمهم بكل فاقرة كما عبّر عن ذلك في مقاماته على لسان الناصر بن فتاح بل أن صورة أبـو الظفـر الهندي بما يحويه من مكر وخداع وحيـل هي تلك التي ارتسمت في ذهن المؤلف عن أهل تلك البلاد.

ولا ندري إذا كان المؤلف قد ظلّ بـالهند حتى آخـر أيامـه أم أنه غـادرها وعاد إلى وطنه إلاّ أن العلامة الأديب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس عندما زار الهند سنة ١١٥١ لم يجد أديبنا بها بدليل أنه لم تجر بينهما مساجلات أدبيـة كما دارت بينه وبين زميله عبدالله بن جعفر مدهر. فـلا ندري هـل توفي هنـاك قبل مجيء العيدروس أم غادر البلاد والله أعلم.

اتبع المؤلف الطريقة التقليدية السائدة عند المقاميين القدامى الذين سنوا ذلك الفن بأصوله وقواعده من ابتكار شخصيتين وهميتين هما الراوية والبطل والتزام السّجع والمحسنات البديعية في بعض الأحيان وفي معالجة بعض المشكلات الاجتماعية والعلمية واللغوية وقد يلتزم بموضوع الكدية كما هو الحال في بعض مقامات الحريري واللمذاني ومن حذا حذوهما. وكذا نجده أيضاً يتقيّد بقواعد هذا النَّمط حتى في عدد المقامات فيصلها إلى خمسين مقامة كما فعل الحريري في مقاماته.

ومع ذلك نجد المؤلف يخرج من قاعدة المقامين ويثور عليهم في الصّميم من حيث استعمال اللّغة ويصرّح بأنه سينتسى «مقامات يفهمها القاصي والداني غير محتاجة ألفاظها إلى التفتيش في كتب اللغة والمعاني وتجنّب الوحشي والغريب في العبارة». وهذا هو التّجديد الذي استحق عليه الريّادة حيث خرج به إلى مجال واسع من ابتكار المضامين والموضوعات التي تعالج مشاكل المجتمع وأحاديثهم اليومية ولم يضطّر نفسه إلى تكلّف الأسلوب وتتبع الوحشي كما رأينا ذلك عند الحريري وغيره حيث أتت عبارتهم مسخ من المعاني لا تكاد تعبر عن قضية ولا تفصح عن مضمون وإنما هي متاهات من الجمل المركبة التي لا يكاد يستشف منها المعنى الأبعد عناء كبير. وكأني بأولئك المقاميين القدامى لو أنهم سلكوا طريقة مؤلفنا الجليل لخرجوا بفن المقامة إلى ما يشبه القصة الحديثة ولطالعنا نماذج بديعة من المعالجات الاجتماعية الرائعة حيث أن القريحة مواتية واللغة طيّعة.

* * *

ومهما يكن من أمر فإن مؤلفنا قد جعل من «مقاماته صور اجتماعية تقترب من الفن المقامي الذي سنّه أصحاب هذا الفن من حيث الشكل وتبْتَعد عنه من حيث المضمْون بما حوته من قضايا تعالجها مقاماته بأسلوب فني رفيع نَلْمح هذا من خلال تتبع الموضوعات التي خَاضها المؤلف ودرس نواحيها.

ففي المقامة الأولى يبدأ المؤلف حديث الغربة والارتحال كما فعل الحريـري وغيره من أهل المقامات ويذكر قصّة اجتماعـه بوزير الهند وإكرامه له. وفي المقامة الثانية يورد محاورة ومشاداة بين بطل مقاماته إلى الظفر الهندي وزوجته ونـلاحظ فيها طبيعة بطل مقامات الحريري أبي زيد السروجي المعروفة بالنّصب والاحتيال ويكثر هذا عنـد صاحبنـا شأنـه في ذلك شـأن غيره إلا أنـه قد يتّفـرد عليهم بأن يجعل بطل مقاماته صاحب نزعه إنسانية تميل إلى الخير في حالات نادرة.

ثم تمضي سائر مقاماته في مواضع متفرقة لا مجال لاستقصائها هنا. ولكننـا في بعضها نجد البيئة التي عاشهـا في الهند كـالإشارة إلى الحـروب التي تقع بـين أمرائها وكعادة إحراق نساء الأموات بعد وفاة أزواجهم عند الهندوس وكموضوع زيارة الأولياء وغير ذلك مما سيجده القارىء أثناء تصفّحه لهذه المقامات.

عـلى أنه قـد يقترب أحيـاناً من الأسلوب الحـريـري من حيث المضمـون عنـدما يحـاكيه في بعض مقـامـاتـه الأدبية كـالمقامـة الشعريـة والمقامـة العروضيـة وكالمقامة الوعظية، وهذا واضـح يتجـلى في ذلك النّمط الـذي يسلكاه الحـريري وصاحبنا وأكثر من هذا وذلك طغيان روح الكدية والحيلة الـذي عرف بهـا بطل الحريري في مقاماته وأبو الظفر الهندي في مقامات أديبنا با عبود.

قلت والموضوع في دراسة مقامات باعبود يحتاج إلى تـوسع أكـبر لا يحتمله المجال هنا.

## مخطوطات الكتاب

ذكر الأستاذ زبيد أحمد في كتابه (الآداب العربية في شبه القارة الهنـدية): أربـع مخطوطـات من كتاب مقـامات بـاعبود الأولى بـالمكتبة الآصفية ٢ :١٥٢٤ والثانية بمكتبة بوهار ٤٤٢ والثالثة ببيشاور ١١٩٥ والرابعة برامبور: ١٦١٩.

وفي أثنـاء تحقيقنا لهـذا الكتاب رجعنـا إلى مخـطوطـتـين جيدتين إحـداهمـا المخطوط الحضرمية وهي بخط أبي بكر بن عمر با جابر كتبها سنة ١١٩٣ بمدينة سورة بالهند وتقع ضمن مخطوطات مكتبة الأحقاف بمـدينة ريم (ضمن مجمـوعة بـرقم ٢٩٢٨) وقد حصلنـا عـلى صـورة من هـذه المخـطوطـة بـواسـطة معهـد

المخطوطات العربية بالكويت أمدني بها صديقنا الوفي الدكتور عبدالله يوسف الغنيم. وهذه المخطوطة جيدة وتتميز بخط واضح مفهوم وقد رمزنا بها بـ «ح».

والمخطوطة الثانية هي مخطوطة المكتبة الآصفية. برقم٢١، فن المحاضرات. وقد كتبت بخط هندي في غاية الغموض وقد أمدني بصورة منها - مشكوراً - الأستاذ. رفعت عبدالرحمن القرشي من أهل مدينة حيدر أباد فجزاه الله على خيراً.

هذا ولم نحصل على بقية مخطوطات المقامات واكتفينا بما في أيدينا والمرجو من الله السداد والهداية وبالله التوفيق

عبدالله محمد الحبشي

صنعاء ١١ شعبان ١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل علم الأدب جنةً يتنزه في محاسنها السائر والجالس وجُنّةً تقي عن اللحن عند المجالس في المَجالس وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً يرتع في رياض عياضها المتأدبون ويكرع من سلسبيل حياضها المودبون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اطلَع أهلَة الأدب[1] من أفق بلاغته وأعجز الفصحاء عن إدراك شاو براعته صلى الله عليه وسلم صلاةً لائقةٍ بعلّو جنابه وعلى آله وأصحابه الذين تخلّقوا بأخلاقه وتأدبوا بآدابه.

وبعد فيقول خادم خُدام الحديث النبوي السيّد أبو بكر بن محسن باعبود[2] العلوي: لما رماني البين بسهام الاغتراب وفارق بيني وبين الوطن والأحباب، خرجت ذات يوم بعد صلاة العصر إلى منتزهٍ مع أدباء العصر واستصحبت معي المقامات الحريرية والنوابغ[3]، والمقامات الزينية[4] وكان معنا جماعة ليس لهم تعلق بعلوم العربية ولا اطلاع علٰى النكت الأدبية فنفرت

(١) في (ح) المنادبون.

(٢) في (هـ) الباعبودي.

(٣) الكلم النوابع من تأليف العلامة محمود بن عمر الزمخشري.

(٤) المقامات الزينية: من تأليف العلامة الوزير زين الدين معد بن أبي الفتح نصر الله بن رجب المعروف بابن الصيقل المتوفى سنة ٧٠١ طبع أخيراً بلبنان سنة ١٤٠٠هـ بتحقيق عباس الصالحي.

طباعهم حتى صار الـواحد منهم لا يجيب من ناداه ولا شـك أن من جهل شيئاً عاداه فعند ذلك أشار عليّ بعض من حضر بإنشاء مقاماتٍ يفهمها القاصي والداني غير محتاجة ألفاظهـا إلى التفتيش في كتب اللغة والمعـاني فأنشـأت هذه المقـامات حسب الإشـــارة وتجنبت الـوحشي والغـــريب في العبـارة وعـــزوت روايتهـا إلى النـاصرين فتاح ونشـأتها إلى أبي الـظفر الهنـدي السياح فليعـذر الواقف عليهـا، والناظر إليها وهي وإن كانت غير محكمة الصياغة لا تخلو من ملح يعـرفها أهـل البراعة والبلاغة والله أسأل أن لا يواخـذني بما جـرى به القلم وأن يـأخذ بيـدي وأن زلت القدم وهو حَسْبي وعليه اعتمادي وعليه في كل الأحوال استنادي.

## المقامة الأولى

وتعرف بالسورتيه[1].

روى الناصر بن فتاح قال: سمرت مع بعض الإخوان فتذاكرنا محاسن البلدان فقالوا: قد شاع وذاع وملأ الأسماع، أن أرض الهند جمعت جميع المحاسن الدنيوية وفيها من الرَّاحة ما يُعين على المطالب الأخروية، فاشتقت إليها اشتياق الصَّادي[2] إلى الزلال، والمهجور إلى الوصال والحزين إلى الفرح، والعديم إلى المنح وبقيتُ أفكر في الحيلة التي توصل إليها وترميني بأيّ وجه عليها فقيل لي: إن أهل هذه المدينة يريدون أن يبعثوا إليها سفينة فاتخذت الأهبة وتهيأت لركوب مركب الغربة[3]، وتوكلت على مالك الملك وركبت في ذلك الفلك، ومنذ مشينا من المراسي ونحن نقاسي من الأهوال ما نقاسي، وحين خفنا على ذهاب النفوس، لاح لنا بندرسورة المحروس فنزلنا إلى تلك الأرض المونسة والبلد التي على المحاسن مؤسسة فصَغر الخبر الخبر، ولم يسمع السمع بأحسن مما رأى البصر، واقتبسنا أنوارها القابوسية[4] واغترفنا من بحارها القاموسية[5]

---

(١) نسبته إلى سورت مدينة شرق غرب بومباي بالهند. وهي مينا على خليج بومباي كانت المركز الرئيسي للتجارة الأوروبية في القرن ١٧ ( انظر الموسوعة العربية ٢/١٠٣٢).

(٢) الصادي: من صدي. عطش.

(٣) في (هـ) القريبة.

(٤) الجميلة.

(٥) القاموس: البحر أو أبعد موضع فيه.

واستمطرنا سحائبها العيدروسية(١) ومكثت بها مدة وأنا في أنس بعد تلك الشدّة.

فاتفق أن خرجت يوماً إلى بعض متنزهاتها وجناتها المكتوب بالحسن على وجَناتها شجر(٢).

جنة الحسن هنا يا عاشقين، ذات أنهار وكاس من معين
وورود تجتني في كل حين، أدخلوها بسلام آمنين،

ورأيت عند دخولي إليها وقدومي
عليها رجلاً جالساً عند بابها يتحدَّث مع حجابها فسألت عنه الفلاح فقال: رجل من أهل الصَّلاح فطلبته وعظمته وآنسته وأكرمته فجرى ذكر البلدان وما فيها من البساتين وأنواع الفواكه والرياحين، فقال: إنما هذا دهليز بلاد الهند، ولو رأيت موضع الملك والجند، لقلت إنما رأيتُ بهذه شيئاً يسيراً ورأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً، فهزَّني الشوق إلى ما وصف اهتزاز من ظفر وانتصف، وقمت من آني(٣) وودعت أخواني، وصححت نيتي وركبت مطيتي.

ولم أزل مرخياً للزِّمام، إلى أن لاحت لي الخيام، فسررت(٤) بقدومي عليها، ووصولي إليها، ثم تأمّلتها بعد أن دخلتها، فإذا بيوتها أقفاص وحيطانها، أخصاص، أكثر سكانها نزائل، وأخيارها قلائل.

ولم أبرح صابراً على الأذى مغضياً على القذى، حتى لاح لي شخص قد

---

(١) نسبة إلى آل العيدروس من أشهر الأسر العلمية في حضرموت ينسبون إلى قطب اليمن محي الدين عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف وهو أول من لقب بالعيدروس انظر تاج العروس ٤/ ١٨٧ وشمس الظهيرة ١/ ٩٣ وفي تراجم أعيان هذه الأسرة انظر مرآة الشموس في تراجم آل العيدروس في مجلدين ضخمين من تأليف العلامة عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس المتوفى سنة ١١٩٣ (مخطوط).

(٢) ساقط من (ح).

(٣) الآن: الحين.

(٤) في (هـ) فررت.

تساقطت من الكبر أسنانه وغاب من شدة الضعف تحت أجفانه إنسانه، فتقدمت إليه وشكوت حالي عليه.

فقال بعد أن سمع قصتي وسفرتي وأسبابها: قوّض خيامك عن أرض تهان بها.

فقلت: إن حالي لضرير، ولا أملك من الدِّرهم إلا نصفه الأخير[1].

ففكر ساعة بعد أن أكثر التبهّل والضراعة، ثم قام، وقال: سر بسيري أسهمك في ميري[2] فسرت بسيرة الحثيث،

حتى أتى إلى قصر أقرّت له القصور بالقصور، كأنه سحاب في السّحاب، فدخل بي إلى صَدر إيوانه وقد عظّمه عظماء حجابه وأعوانه.

فقال: أخبروا الوزير إني أتيت إليه بنابغة اليمن وخاتمة شعراء الزّمن فلم نبرح إذ أقبل الوزير، وحوله من أتباعه الجم الغفير، فبالغ في إعظامنا واعزازنا وإكرامنا، وأغرق الشيخ في وَصْفي بما ملأ المسامع، وجعلني بمكانة دونها الفلك السابع فحكم لي الوزير بخلعة سنية وألف أحمر عالمكيرية[3] وقام الوزير إلى محل حرمه وتسلّم الشيخ الخلعة والدّنانير من خدمه، ثم أعطاني ثلاثة دنانير، وقال: أعطها لحاجب الوزير، ثم ألحقني إلى تلك البقعة لأسلمك الدّنانير والخلعة، فمكثت وأنا مطمئن النفس بأنه في مكانه، وأنه إن غاب سيدلّ عليه بعض جيرانه، ووقفت بباب الأمير منتظراً حاجبه حتى بلغت الغزالة[4] من الأفق حاجبه فذهبت إلى دار الشيخ من ذلك الأوان فلم أجده في المكان وقَضَيت ليلي

---

(١) في (هـ) لفقه.

(٢) الميرة: الطّعام الذي يدخره الإنسان.

(٣) في (ح) عالم قيريه: وهي عملة من الذهب تنسب إلى السلطان محي الدين عالمكير أورنك زيب أحد سلاطين المغول بالهند حكمه من سنة ١٠٦٩ إلى سنة ١١١٨ (أنظر الدول الإسلامية لستانلي بول ٢٦٠/٦٩٦).

(٤) الغزالة: الشمس.

أمام داره على الجـوع والأسى وأعلل النَّفس بلعل وعسى وحـين انتبه الـطَّائر من منامه وأقبـل الصّبح بـراياتـه وأعلامـه، درتُ في بيوت الحي أسـأل عن الرّجـل أمّيت هو أم حي، فلم يطلعني أحد له على خبر ولم أقف له على أثر.

وحـين أيست من طلبتي أقبل شـاب وأهّل غـربتي وقـال: إعلم أن هـذا الـرجل لا نعـرفه وإنمـا هو منـذ أيام وفـد علينا ومـذ خرج معـك لم يعد إلينـا، فقلت: هل لأحد إطلاع على اسمه وكنيته وعشيرته أو قبيلتـه، فقال: هذا رجل خبيث له في الخبائث القديم والحديث، ويعـرف تارةً بـالشيخ النّجـدي وأخرى بأبي الظفر الهندي، فعضضت سبابتي من الندامة، وترضيت عن أبي دُلامة[1].

(١) هو زند بن الجون الأسدي شاعر مطبوع من أهل الظرف توفي سنة ١٦١.

## المقامة الثانية

وتعرف بأحمد نكرية[1].

حدث الناصر بن فتاح قال: أجتزت بأحمد نكر في أيام غلبة السُّموم والحر وغلب عليّ الظمأ حتى خشيت الهلاك والعمى، فاستسقيت جارية على ساقية جارية فناولتني شنّة كأن ماءها من الجنة فشكرت لها جزيل فضلها، وسألتها عن وطنها وأهلها فقالت: أما الوطن فقوالير وأما الأهل فبواهير وإنما ساقني المقدور إلى هذه الأرض الحرور، فلم ألبث أن أقبل ذو حالةٍ رثة ولحية كثة، فأخذ بيمينه مرطها وبشماله قرطها، فصاحت بأعلى صوتها، حتى خفت من موتها، ونادتني نداء المستغيث، فأدركتها إدراك المغيث، وفككته عنها، ولم أمكنه منها، فقال: إنت هذه عرسي وأرض غرسي ولا بد من أخذها، ولو سحباً على وجهها، فقلت: ما تقولين في قوله، فقالت: قوله كبوله فحلف بالأدب وأربابه، ومن تدرع بإهابه، وأيمان ناطقة أن دعواه صادقة، فقلت لها: إن الصدق مليح، والكذب قبيح، فاصدقيني في كلامك قبل أن يقع الناس في ملامك، فقالت: أبرؤ من الكذب إلى علام الغيوب، وهو زوجي ولكنه كثير العيوب يأتي البيوت من الظهور ويقصم بعدم الإنفاق الظهور، فقال: والسَّبع المثاني إنها كَذبَت في الأول وَصَدَقتْ في الثاني، فقالت: دع ما كذبتُه وآت ما صدقتُه، فقال: ليس على المفلس حرج فاصبري إلى أن يأتي الفرج، فقالت:

---

(١) في (ح) أحمد نقريه وأحمدنكر مدينة في الهند شرقي بُومباي (ولاية مهارا شترا) أنشأها سنة ١٤٩٤م أحمد نظام شاه موسى من سلالة نظام شاهي.

خذ من أحد بالقرض، فقال لا آخذ شيئاً يكون أداء يوم العرض، فقالت: يا مخنوث المخانيث[1] ومحبوب إبليس الخبيث أما تستحي من العار أما تخشى من النار إذ ما سمعت قول [الخبر][2] المنقول: كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يعول[3] وأسألك بالله أن تخلي سبيلي لأرجع إلى قبيلي فتضرّع وأكثر الحنين والأنين وبكى لا بكاء الثكلى والحزين، فرحمتُ تذلله وأعطيته[4] من الورق ما أثقله فأخذتها[5] وأخذها معه، وعنَّ لي أن أتبعه فسمعته يقول لها: أما قلتُ لكِ أن الرِّبح في الدهاء ولو لم نفعل فعل الأوباشِ بتنا من الجوع أوحاش[6]، فتقدمت أمامه وكشفت[7] لثامه، فإذا هو أبو الظفر السَّاحر المعدود من المساخر، فقلت له: قاتلك الله من ماكر ولا أبقاك إلى باكر، فقال: دع المرأة ولا تسأل عما جرى، ففارقته وهو بالمال قرير العين، وأنا بالإفلاس أضيق من بياض الميم والعين وحلفت أن لا أدخل بين متشاجرين، ولا أفك بين متخاصمين.

---

(١) في (هـ) يا مخيوث الخياهيث.

(٢) ساقط من (هـ).

(٣) رواه النسائي وأبو داود بسند صحيح بلفظ كفي بالمرء إثما أن يضيع من يقوت.

(٤) في (هـ) أعطيت.

(٥) في (ح) فأخذه.

(٦) في (ح) بلا عشا وفي اللغة أوحش فلان: جاع.

(٧) في(هـ) كثفت.

## المقامة الثالثة

وتعرف بالبيجافورية.

روى الناصر بن فتاح قال: وصف لي بيجافور[1] شيخ خبير بتجربة الأمور فتسنّمت سنام الغربة وتأبّطت وتنجّدت هـراوة وقربة، ووصلت إليها بعـد الكدّ والنكـد، وقـد أنفصمت مني عـرى الجلد، وقصـدت إلى آثـارهـا واجتمعت بأخيارها ورأيتها جنة ذات أنهار وأشجار، وجنـة تقي البؤس والعار، لم يجـد أبو مـرة سبباً إلى دخـولها فَضْـلاً عن سكانها وحلولهـا، ثم خـرجت إلى متنـزهـاتهـا فحدثتني عن الخلد ولذاتها، ومكثت بها زمناً وأنا في عيش رغيد، وظل مـديد، وسعد يتجدّد ويزيد.

حتى حضرت بها صـلاة العيد، وقـد قيل لي: أن حـاجتك عنـد خطيبهـا المضمخ بعنبرها وطيبها، فقـدمت إلى الصفّ الأول، وشاركت من كـبّر وهلّل، فلم يكن إلاّ كلمـح البصر إذ أقبـل رثّ الهيئـة وأحـرم، وكـبّر ثم بعـد سـلامـه صعـد ذروة المنـبر فأعجبني حسن بيـانه، وذكـرت المثل المشهـور «المرء مخبـوء تحت طي لسانه» لا تحت طيلسـانه فحـذر عن الدنيـا وذكر هـول يوم العـرض وأنـذر من عصيـان خالق السـماء والأرض، وكان من جملـة ما حفـظته من كلماتـه وملحـه

(١) بيجـافور مـدينة في جنـوب الهند (اقليم بيجـابور) تـزينها القصـور والمساجـد والآثار منهـا روضة ابـراهيم عادل شـا احتلّها عـلاء الدين حلجي سنـة ١٢٩٤م أصبحت عاصمـة مملكـة بيجـابـور الإسلامية في عهد سلالة عادل شاهي احتلها أورنك زيب سنة ١٦٨٦م والحقت بنظام حيدر أباد سنة ١٧٢٤م (المنجد).

المليحة وعظاته أن قال: أيها النّاس اعتبروا بمن مضى واخشوا فصل القضاء وانتبهوا من هذه السنة فإن يوم الموقف كألف سنة، يوم الندامة والحسرات يوم انسكاب العبرات يوم الذلّ والهون يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم يشيب الولدان يوم الرّبح والخسران لأهل الجنة والنيران جعلنا الله وإيّاكم ممن سبقت له السّعادة وأنجته كلمة الشهادة، فحينئذ خلعت عليه الملابس الفاخرة، وأعطوه ما يرجون به النّجاة في الآخرة وانصرف من أوانه إلى مكانه، وتبعته بطلتي فأهل غربتي ثم سألته عمارمته وإليه قصدته، فقام وقال: أجلس في مكانك واصبر بقدر إمكانك فسآتيك بعد حين وأُبيّنُ لك الغث من السَّمين فمكثت على مضض وملل إلى أن ولجت الغزالة في الطَفَل[1] فخرجت إلى الباب لأسأل عنه الحجاب، فقالوا: هو خطيب المدينة ولا نراه إلّا يوم الزينة، فقلت لهم: قد وقفت على حسبه فاخبروني بنسبه، فقالوا: هو أبو المظفر المعروف بالفضائح وارتكاب القبائح، فندمت على سفرتي وخسران صفقتي، ورجعتُ إلى مكاني متجلبباً بأثواب أحزاني.

(١) طفل العشى آخره عند الغروب أي اختلاط أول الليل بضوء النهار من لدن ذرور الشمس إلى استكنانها في الأرض.

وتعرف بالسكرية.

حدث الناصر بن فتاح قال: لم أزل أجوب البحر والبر وأكابد البَرد والحر، أنضو مطايا السفر حتى ولجتُ مدينة سكر[1] فتطيّرتُ بهذا الإسم القبيح وضاق عليّ بذلك كل فسيح، فمكثت بها أياماً معدودة، وأنا في هم وغم مع علمي بأن الطِّيرة غير محمودة، ثم ذهبت إلى موضِع قاضيها الذي بيده حكم دانيها وقاصيها، فرأيت النّاس يأتون من كل فج عميق ويسألونه عن الجليل والدقيق، ولم نبرح إذ أقبل شيخ طويل النجاد، كأنه من قوم عاد، وقد أخذ بيد شاب حسن الصورة تقرأ من صفحات وجهه وفلتات لسانه للأدب أفصح سورة، فقال الشيخ: إعلم أيها القاضي لا زالت أحكامك كالمواضى إني أصرفت في تربية هذا الولد عمري وأنفذت في تأديبه عامي وشهري، ثم لما رأى ضعفي وابيضاض شعري عصاني، وسرق شعري فقال القاضي للولد: كيف تسرق شعر أبيك، وبه كان يغذيك، ويُربيك، فقال الولد: لا ومن برأ النسمة وفلق الحبة[2] وقذف له في قلبي جزيل المحبة، إني لم أنقض برّه ولم أسرق شعره، فقال الشيخ: سرق والله أيها القاضي أبياتي النونية وأثبتها لنفسه بعد أن غيّرها دالية، فقالَ القاضي حَسّن نيّاتك وأنشد أبياتك، فأنشد الشيخ:

---

(١) سكرّ أو سكهر قاعدة مديرية باسمها في السند وهي واقعة على الضفة الغربية من نهر السند وانظر معجم الأمكنة لنزهة الخواطر لمعن الدين الندوي ٣٣.

(٢) في (هـ) خلق المحبة.

أنـا فـي الـغـداة كـأني رافض في قـبـضـة الأفـغـان
بـين قـوم لا يحسنـون حـديثـاً بـل ولم يعـرفـوا طـريق البيـان
لا يـرون سـيـادة لشريـف ديـنهـم في الـورى كـديـن عـمان

قال: وماذا قال هو فأنشد:

أنـا في ذي الـغـداة كـأني رافض في قـبـضـة الأكـراد
بـين قـوم لا يحسنـون حـديثـاً بـل ولم يعـرفـوا طـريق الـرشـاد
لا يـرون سـيـادة لشريـف ديـنهـم في الـورى كـديـن زيـاد

فحلف الولد بالأدب وأهله والفرع وأصله أنه لم يسمع أبياته الواردة وإنما هذا من طريق المواردة، فلم يلتفت الشيخ إلى أيمـانه بـل شكّ في إيمـانه فحـار القاضي مما رأىٰ، وقال: الحكم في غد فعند الصّباح يحمد القوم السري، فـأبى الشيخ في تلك الساعة قبل تفريق الجماعة، فقال القاضي: لينشد كـل منكما أبيـاتاً غزلية على طريق الجد لا الطّريق الهـزلية ويضمنهـا المثل السـائر كـالفلك الدائـر حتى أعرف الغث من السمين والرَّخيص من الثمين وأسجّل لكما الحكم الواجب امتثاله على الفصحاء والبكم فأنشد الشيخ وقال:

الا رب ظـي قـد تمـلك مـهـجتـي وفي غـايـة قـاعـة قال وعـرسـا
وقـد سمتـه التقبيـل في خـال خـدّه فـأبـدى نفـوراً و أشـماز وعبّسـا
ونـاولـنـي الـقـنـاع وقـال لي إذا فـاتـك الـرَّيحان شم العـرنـدسا

فأشار القاضي إلى الولد ببنانه، وقال وسلّ حسام بيانه: شعـر

تبدّى البدر في أفق التمني كحوط مائس زين التثني
على ما غفلة وافى وأوفى ولكن لم يقم بل قال دعني
طباع العاذلين طباع سوء فأخشى أنهم يدرون عني
فقد قاسيتُ في سيري أموراً ولكن شرحها ما ليس يعني
وخلت الشاخصات عليّ ترنو بأحداق وزاد الخوف مني

ولا تعجب إذا ما خاف مثلي يكاد المستريب يقول خذني

فحار القاضي عن ذكائهما وفصاحتهما وإدراكهما وبلاغتهما وعنم أنهما في الدهاء شريكا عنان وفي حلية الآداب فرسارهان، فقال لهما: كفيتما كل مكروه وخير إصطلحا فالصلح خير، فقال الشيخ: الصلاح في عدم مرافقته لأني أعلم عدم موافقته، فقال القاضي: لا يهون عليّ أن يكون فراقكما على يدي فخذا هذه الألف الدِّينار واصْرفاها في بياض هذا[1] النهار وبعد هذا فالأمر إليكما والاختيار لكما، فأخذه[2] الشَّيخ بيده وخرجا من عنده، ومشيتُ على أثرهما لأصطلي بنارهما أو أقتبس من نورهما، فأدركته بالباب النجدي، فإذا هو أبو الظفر الهندي المشهور بالفضائح والعيب، والولد ولده بلا شبهة ولا ريب، فعُدت إلى موضعي والعجب يمشي معي.

---

(١) في (هـ) هذه.

(٢) في (ح) أخذها.

## المقامة الخامسة

وتعرف بأحسن أبادية(١).

حدَّث الناصر بن فتاح قال: اتفق أن ارتكبني هم تلاطمت أمواجه، وتزاحمت أفواجه، وسبب ذلك أني كنت في صحبة شبل لبث الخلافة الذي لم يستطع أحد خلافه فجرت مني هفوه ولكل جواد كبوة فتغير عليَّ ومسك ما كان يسديه إليّ فقيل لي لو نذرت بنذر معلق بحصول المراد للسيد الولي المدفون بأحسن أباد يحصل مرادك وكبت حسادك فنذرت له بما يليق بحالي ويبلغه مالي، وعلقت النّذر بإدراك آمالي فما مضت من الأيام عدة الشهور إلاّ وتفتحت أبواب الفرح والسّرور، فعزمت العزم الصحيح وصرت لزيارة ذلك الضّريح، وبقيت مدة مجاوراً لتلك الروضة الشريفة ومشاهداً تلك العتبات المنيفة، ثم حضرت الزّيارة التي تعمل في عام رحلته لا عام ولادته، فاجتمع أهل المطالب والمآرب من المشارق والمغارب وأنا أنظر إلى الناس يدخلون زمراً زمراً من الفضلاء والأغنياء والفقراء والأمراء، ولم يلتفت أحد إلى أحد من الجماعة كأنه يوم قيام السّاعة حتى أقبل رجل ظننته الملك لجلالته وتعظيم النّاس له ومهابته، فأشار إليّ بوردةٍ فقبلتها واستلمت يده وقبلتها ورأيت النّاس يسجدون بين يديه فأنكرت بقلبي عليه فانتصب عرق الغضب بين عينيه وأشار إليّ بكلتا يديه: لا تنكر على من لم تعلم بحاله، وبالغ في تعظيمه وإجلاله والجماعة إنما سجدوا إلى البيت الشريف من جهة الركن اليماني المنيف، وإذا لم ترهم فالعبرة برؤية

---

(١) لم أجدها.

البصيرة[1] لا البصر ولهذا سلم للأولياء ما هم عليه أكثر البشر:

وإذا لم ترا الهلال فسلّم لأناس رأوه بالأبصار

فسلمت الأمر له واستقلته هذه الزلة ثم خرج من تلك الرّوضة إلى الغيضة بالقرب ليست بالطّويلة ولا العريضة، وفي هذه الغيضة ينزل الزوّار عند إيابهم ويبيتون بها ليلة ذهابهم، ولما جلس في صدرنا سلّم القوم عليه وحَوّلوا وجوههم إليه.

ثم التفت إليّ وقال: لو أباح لنا مالكها حلولها عمرناها وانشرحت بها الصُّدور واستحسن النَّاس نزولها، فقلت: وما نَصْنع بغيضة عرضها ضرّ طولها فمسك على لحيته وهزّ رأسه ثم نكسه[2] وصعد، أنفاسه، ثم علم أن القوم كالأنعام ما فيهم من يميز بين الشعراء والأنعام، ثم قال للزوّار يا قوم إن الصحبة تثبت بساعة والمودة تبقى إلى الساعة والدين النَّصيحة لا سيما عند خوف الفضيحة، وأنا أرى أن هذا المكان ليس به أمان وقد خطر ببالي أن تأتوا معي إلى ضيعتي وموضع قبيلتي وعشيرتي فتبيتون في ما منكم ثم تذهبون إلى أماكنكم، فامتثل لحكمة الجماعة، وقالوا السّمع والطاعة فصار أمام القوم وهم في مجاهدة السير والنوم، ولما قربت البلد تقدّم أمامهم ليهيء مكانهم وطعامهم فما وصلوا إلاَّ وأدخلوا إلى بيوت مفروشة وجدرانها بالذهب منقوشة ثم قدم لهم الطعام في أصحان تزاحم الكواكب بالمناكب، يأكل منها الجالس والقائم والراكب ولما غسلوا الأيدي دار عليهم بالبخور والورد المنثور، ثم دعوا له بدعوات أوقاتها الصفا وأقواتها الإخلاص والوفا تحملها الملائكة على الأجنحة وتتخذها من أفخر العدد والأسلحة وأمّا أمتعتهم وحوافرهم[3] فقد أدخلها بيتاً له بابان وقد رأوا ذلك واطمأنت به خواطرهم ثم قال: إعلموا إن القرى وجوبه

---

(١) في (هـ) البصرة.

(٢) في (هـ) الأغنام.

(٣) حوافرهم: خيلهم ودوابهم.

ثلاثاً على أهل القرى وأنا أسألكم بمن جمعكم هذه الليلة أن لا تحرموني الفضيلة فقالوا له: الأمر إليك، وإنما قصدنا أن لا نكلف عليك، ثم لما كان اليوم الرابع انتبهت وأصحابي في المضاجع فرأيت الشيخ قد أخذ ما دق وسافر إلى حيث ألَّ[1] فعدوت وراءه حتى أدركته ثم هدّدته ووبّخته فنظر إلي شزراً وتسلّم الغبرا فرجعت إلى القوم، وقد انتبهوا من نومهم وما عليهم أشد من يومهم، ثم قاموا بأجمعهم على أهل القرية، وقالوا: ما لنا عندكم بلا مرية، فقالوا[2] ما لنا بهذا الشيخ دراية وإنما أخذ منا هذه البيوت بالكراية، ولما أخذ المال ومشى ظننا أنه ماله يفعل فيه ما يشاء فعند ذلك تحقّق لنا أنه أبو المظفر المشهور وسرنا وقد أيسنا من رجوع مالنا كما يئس الكفار من أصحاب القبور.

---

(١) ألّ الرجل في مشية أسرع واهتز واضطرب.

(٢) في (ح) ليس لنا.

## المقامة السادسة

وتعرف بالحيدرأبادية.

روى الناصر بن فتاح قال: أجدب الهند سنة من السّنين، حتى باع النّاس البنات والبنين، وشروا الميتة بالدُّر الثمين فتدرعت درع المهابة والوقار، وشمرت للرَّحيل والسفار، ولم أزل أجوب الفيافي والبراري وأقطع البحار على متون الجواري حتى وصلت حيدراباد[1] معدن[2] الفسق والفساد فدخلتها وأنا من النَّصب[3] في سكرة، ومن التعب في فكرة، وحين ضمَّني سوقها وظهر فسوقها ضاق لذلك ذَرْعي وندمت ندامة الكسعي[4] وصرت من أحرص الحراص على[5] التماس الخلاص وطفقت أفكر في النَّفقة وألتمس الرفقة، فبان لي شخص[6] قد أحناه الزمن الخؤون حتى صار كالعرجون، وقد اجتمع عليه الجم الغفير، وكثر النحيب والزفير، فقلت لرجل: مَن هذا؟ فقال: رجل يكثر الهذى فتقدّمت لأكشف عن حاله وأعرف جائز القول من محاله، فسمعته يقول: يا

(١) حيدرأباد: ولاية من الهند الجنوبية وهي واقعة شمال برار الولاية المركزية وغرب ولاية بمبى وجنوباً وشرقاً ولاية مدراس مساحتها نحو ٨٢٦٩٨ ميلاً أسطر معجم الأمكنة ١٢٣.

(٢) في (هـ) بعون.

(٣) في (هـ) النقب.

(٤) يقال في الأمثال أندم من الكسعي وهو رجل من كسعة اسمه محارب بن قيس كان يصيد فرمى صيده وظن أنه أخطأه (انظر المستقصى ١/ ٣٨٦).

(٥) ساقط من (هـ).

(٦) في (هـ) هم.

ذوي العقول إلى م تنضون[١] الأبدان وتضيّعون[٢] الأزمان في جمع دنيا كثيرة الغرور مشحونة بالبهتان والزُّور، كثيرها قليل، وعزيزها ذليل، وجمعها شتات، وآخرها ممات، وطبعها وضع الرفيع ورفع الوضيع، فطوبى لعبد طلقها وودَّعها، وويل لمن خطبها وجمعها، فالمتاب المتاب، قيل تغليق الأبواب، والرجوع الرجوع قبل تفريق الجموع، ثم إنه أعمد غضب لسانه، وأخفى بديع بيانه، فاشتاق الحاضرون إلى[٣] النقاط ورد لفظه واستماع زواجر وعظة، فسألوه الإعادة وأكثروا الولوع، فقال: لا ومن أحلّ الميتة عند غلبة الجوع، لا أعود إلى ذلك حتى تستبين لي المسالك فقيل له: بينّ سوالك لا غيّر الله حالك، فقال: إعلموا أهّل الله بكم الغريب إني كنت ذا ثوب قشيب، ومال ومتاع وقرى وضياع، فلم يزل الدّهر يفرق ما جمعت ويقبح ما حسنت ويهتك ما سترت ويخرب ما عمرت ويبدد وما وعيتُ ويُهدم ما بنيتُ حتى رقّ لي الحجر، ورقى الأسود والأحمر وخلفي صبية كالفراش، قد حالفوا من الجوع الفراش، فمن قدر على الإعانة فليغتنم الفرصة، ويأخذ من هذا الغنم بحصّة[٤] فانحنى القوم إلى جيوبهم وأعطوه ما في جنوبهم فرفع رأسه إلى السّماء، وقال: يا من جعل كل شيء حيًا من الماء اتهم السُّول وبلغهم المأمول، وأدخلهم في شفاعة الرّسول ووفقهم لصالح الأعمال قيل انقضاء الآجال فقد فرّجوا عني كرباً عظيماً، وأزاحوا عن قلبي همًّا أليماً.

ثم إنه ودعهم أحسن توديع، بعد أن أحسنوا له التشييع، وقفوت إثره لأعلم خبره، فلما وصل المفازة ركز بها عكازه، وكشف قناع الخزي عن وجهه ورأسه وظهر ما ستره بلبسه ولباسه فإذا هو أبو الظفر الهندي المشهور، المعروف بالفسق

---

(١) في (هـ) سعون.

(٢) في (ح) تطيعون.

(٣) في (هـ) أن.

(٤) في (هـ) بحقه.

والفجور فقلت: له عهدي بك كثير المعاصي وأراك تعفر بالطّاعات[1] النواصي فهنيئاً لك هذه التوبة إن لم تتبعها بحوبه، فقال: يا كثير السَّفاه لا ومن أحل حمر الشفاه ما أتوب عن الخمر حتى أوسد في القبر، وما لبست لباس الطاعة إلا لسد باب المجاعة، ثم إنه أنشد بعد ما تنفس وتنهد شعر:

لبست لباس الحلم والزهد والتقوى　　لكشف قناع الفقر والبؤس واللّاوا
قتلت فكنت بمكري كلما رمت من منىً　　وصدت أسود الغاب باللبس والشكوى
فمن لم يعامل بالخداع يمت به　　ومن لم يعش بالمكر عاش أخا بلوى
وقد مات من يخفي مضاضة خطبه　　وقد عاش ذو قلب حسود أخا النجوى

فاستعذت بالله من الفقر والغم وفارقته مفارقة السن للفم

---

(١) في (ح) الترب.

## المقامة السابعة

وتعرف بالأرنكابادية[1] .

حدث الناصر بن فتاح قال: انتشر أهل البوادي في أكثر النوادي، وقطعوا الدروب وأكثروا الحروب فتحصّن[2] كل حاضرو باد في أورنك آباد، وكنت من جملتهم منسلكاً في زمرتهم فاستكريت بيتاً كمفحص دجاجة بل كمربض دراجة[3]، ومكثت لاصقاً بالأرض كالأحلاس من شدة العري والإفلاس فاتفق أن دخل بيتي لص ذو نفس حريصة فنخسته في الفريضة[4] وأخذت منه قميصه، وخرجت ولا أدري أين ذهب لخلو يدي من الورق والذهب فرأيت شيخاً وشاباً يمشيان مَشْي الحمام، قاصدين بسيرهما نحو الحمّام والشيخ يقول للفتى: إئت بالدّراهم قبل أن أفعل بك ما يحملك على شراء المراهم، والفتى يقول: إليك عني فقد ضاعت دراهمك مني، فشدّد الشيخ في التزامه ومسكه من حزامه ومشى به إلى والي البلاد، وبعد أن فضحه على رؤوس الأشهاد وقال للوالي: إن كفلت هذا الغلام منذ عشرة أعوام رجاء أن ينفعني ببرِّه فخدعني بحيله ومكره، وكان من سوء أفعاله التي تؤذن بزواله أني أودعته ألف دينار من خالص العين وقلت له: احتفظ بها كحفظك للعين، فما كان جوابه حين طلبتها إلا: أني قد ضيعتها فالتفت الوالي إلى الشاب فرآه يرفل في حلل

---

(١) أورنك باد: قاعدة مقاطعة أورنك آباد في أواسط الهند إلى الجنوب.

(٢) في (هـ) فتحقن.

(٣) الدراجة مؤنث الدراج طائر جميل المنظر ملون الريش.

(٤) الفريضة مفرد فريض أو داج العنق.

الشباب كالغصن في قوامه والبدر في تمامه، فأخذ بمجامع لبّه وخامره مـا خامـره من حبّه وكاد لولا خوف العار أن يضعه في عبّه(١) وقال له: يا فتى ما تقول فيـما ادعاه والذي أظهره وأبداه، فقـال بلسان جـازمة: دنـانيره في ذمتي لازمـة وأريد منه الإمهال ولا أريد الإهمال، فقال الشيخ: لا ومن بيده أزمـة المقادير لا أقبـل إلا تسليم الدنانير، فقال الوالي وهو يتلظّى بنار الجوى، ويتحرق بسعير الهوى: أمهله يبيت عندنا ويسـامر جنـدنا إلى أن يصبـح الصَّباح يحصِـل لك النجـاح، فقـال: لا ومن يحيى ويميت لا أدعه يبيت أو يـدفع إليّ مـالي لأرجع إلى عيـالي، فتحير الوالي في أمره ونكس رأسه إلى صدره وقال: يا شيخ إني أخاف على الفتى من عـدوانك وأن تتبـع فيه غي شيـطانك، ومن وفـد إلينا وجبت إعـانته علينـا وأعطى الشيخ دنانيره في يده وأدخل الغلام في خدمـه وجنده فخـرج وهو يـدعو للوالي بلسانه ويهجوه بجنانه وتبعته وهـو يمشي في طريق غـير مسلوكة، وسكـكٍ أظنها لنجاستها غير مملوكة، ودخلتُ معه إلى سربه وقصدي العلم بصدق قـوله من كـذبه، وإذا هـو مكان كثيف كـأنه كنيف فجلس يقلّب الـدنانـير ويضحـك بشخير ونخير، ولم يلبث أن أقبـل الغلام يعـدو إليه وأكبّ يقبّـل رجليه، فقلت له: سألتك بخالق الأنام أن تخبرني من هذا الغلام، فقال هذا ابن صلبي الذي بسببه أراد الوالي صَلْبي، فحينئذ عرفت أنه أبو الظفر ذو الفـواقر والفقـر وكدت أن أضربه بنعله لما شـاهدتـه من قبيح فعله، وخـرجت هاربـاً من فنائـه وداره، ومررت على الوالي وإذا هو يصلى بناره يقوم ويقعد ومن الغيظ يرعد وقـد أرسل أعوانه إلى كل خانة، فقلت له: هوّن عليك، فإنه لا يعود إليك فـإن الفتى فتى أبي الظفر الذي يحير بأفعاله الفكر فلا تندم على ما فـات واعمل بـالجزم فيـما هو آت فاستغفر الله سبعين مرة وتعوّذ بالله من أبي مرة.

---

(١) العب: الرّدن.

## المقامة الثامنة

وتعرف بالبرهانيورية[١].

روى الناصر بن فتاح قال: لاحت لي[٢] إشارة بتعاطي التجارة فبليت[٣] بالخسارة وشق المرارة وذلك أني ابتعت من دار السرور برهان يور[٤] من الملابس النفائس والمفارش والطنافسْ ما ينوء حمله بألف جمل ويعجز المحاسب عن تفاصيله والجمل، ولما رمتُ الخروج دخل عليّ علج من العلوج، وقال: إسمع ولا تمل وتأنّ ولا تعجل، فالعجلة ندامة والتأنّي سلامة، فإن اليوم يوم نحس مستمر وبلاء منهمر، وفي صبح غد سعد لكل أحد، فلم أمتثل لأمره، وزدت في تهديده وزجره، وقلت له: ما عادى الأيام أحد من الأنام إلّا وقع في المهالك وسلك أضيق المسالك فاقسم بأبر يمين لا يحنث فيها ولا يمين بأن قوله مأخوذ من النجوم وأنه موافق للقضاء المحتوم، فعند ذلك امتثلت لأمره، ولم أميز[٥] بين حلو القول من مره، ولما أصبح الصباح قال: حيّ على الفلاح، وأمر بشدّ الرحال، وحمل الأثقال على ظهور الجمال وأمر بالسوق الحثيث وتخلف يشغلني بالحديث، ثم وقف للوداع، وهو مضمر الخداع، ولم نزل نتحاكى حتى ذهب،

---

(١) في (ح) البرهافورية: وهي مدينة مسورة من الهند هي قصبة متصرفية باسمها في مديرية نمار تابعة للولايات المركزية: «معجم الأمكنة ١٠».

(٢) ساقط من (ح).

(٣) في (هـ) قتلت.

(٤) في (ح) برهافور.

(٥) في (هـ) الميز.

وهو يتباكى واعـترضني في طريقي بـاب فرمت الـدّخول منـه فمنعني الحجاب، فقلت لهم :دعوا القال والقيل، فإن جمالي ولجت هذا السبيل، فقالوا اذهب الله جمالـك وهل دارنا سبيل تسلك فيها جمالك، وما زلنا في المجابذة والمسابّة والمنـابذة: إلى قريب غروب الشمس، فطلع علينا رجل كأنه قام[1] من الرّمس، ويكاد بمشيـه يكسر الحصـى في يمينه حبل وفي شماله عصا وسألنا عن الخبر فبثثنـاه ما بطن ومـا ظهر، فقال: دعوه يسلك من الباب ولا خوف عليكم ولا ارتياب لتظهر إبله أو تخيب أمله، ولمـا دخلت بـابهم أغـروا عـليّ كـلابهم وأمـروا عبيدهم السـود[2] بإحضار القيود وشدوا في وثاقي حتى كادت تبلغ روحي الـتّراقي وتراكمت عـليَّ أنـواع الأحزان من كـل نـاحيـة ومكـان، وغلب[3] عـليّ التعب والجـوع، حتى رضيت من الغنيمـة بالـرجوع، وقلت لهم: أقيلوا لي العثار وأخرجـوني من هذه الدار فقد كرهت حياتي وحُبّب إليّ مماتي فقالوا :لا نفكّ عنك القيود حتى تقر عند جمـع من الهنـود بـأن ليس لي مـال ولا دَعْــوى ولا جمـال، وتكتب خــطاً عـلى التّراضي، ونضع عليه خاتم الوالي والقاضي، ففعلت ما قالوا وملـت إلى ما إليه مالوا وخـرجت صفر اليـدين بخفى حنين، دامي القـدمين والمنكبـين واستقبلت بـوجهي البر صـابراً عـلى معانـاة البرد والحـر، وبقيت زمنـاً أمشي في السبـاسب والمهامة، والزمن يرميني بسهامه إلى أن لاحت لي غيضة وفي وسطها قبّة كالبيضة فملت إلى أهلها رجاء أن يصيبني من وبلها أو طلها وسمعت قائلاً يقول وهو في سكرات الموت، يجول: يا سامع الصوت ويا سابق الفوت ويـا سائق القـوت ويا مكسي العظام لحماً بعد الموت هوّن عليّ سكرات الموت[4] فرق من حضر لما به. ودعوا الله أن يهوّن عليه أليم مصابه ثم التفت إليهم وأقبل بـوجهه عليهم وقال: أشهدوا بأني تبت إلى العلى الوالي من سوء أفعالي وأقوالي، ثم رمقني من حينـه.

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من (ح).

(٣) في (ح) بلغ.

(٤) من (ح).

ونظر إليّ بعينه، وقال: أيها الأخ الصـالح والسّـاعي في المصالـح إني قد التجئت إليـك في العفو عـما جنيت عليك، فقلت له: رمقتك العنـاية بـين لي سبب هذه الجناية، فقال: أنا الـذي أخذت مـالك وسقت جمـالك، وأنـا الذي بـالتخلّف أشرت وعند الشد حضرت، ولتوديعك وقفت، وبدخـولك للبـاب أمرت والعبيد عبيدي، والبيت من طارفي وتليـدي، فقلت له: لا أقبـل هذه القـول منـك ولا أعفو عنك إلا إذا كتبت إلى عيالك بإخراج مالي من مالك، ولو يعطوني كل يوم مـا يسـدّ الـرمق ويـذهب عن العـين الأرق فقـال: يا هذا خلق قشيبتي ولا أملك إلا قضيبي، فقلت لـه جعل الله شر عمـرك آخره وخـذلـك في يـوم الآخـرة، فقـال: الأمـر بيد الله لا بيـدك والعفو من عنـده لا من عندك، وسـألت عنـه من حضر فقال: هذا أبو الظفر الذي أعجز بدهـاه البشر، وأخرج بـه الماء من الحجـر، ثم قـام على سـاقه كـأنما حل عن وثـاقه، فعلمت أنـه إنما أظهـر المـرض لحصـول الغرض، فصرفت عن رؤية عيني رأسي وأنا أقاسى من فعله ما أقاسي.

## المقامة التاسعة

وتعرف باللاهورية.

حدث الناصر بن فتاح قال: سافرت مع عسكر الهند المنصور إلى مدينة اللاهور[1] فلما حللت بسوحها وتفيأت بظل دوحها[2] نسيت بأنسها الأهل والوطن وزال عن قلبي الهم والحزن، وحين أسفرت الغواني من وجوه التهاني سمعت للبلد رجّه ولأهلها ضجّة وامتلأت الأزقة وكثير البكاء والرقة وصار الصّباح كالمساء، واختلط الرِّجال بالنساء فحرت من هذا الهول المهول، وسمعت قائلاً يقول: مساكين أهل البلد مات سلطانهم، وفقد إنسانهم وشمر أولاده للحرب، وقابلوا بنحورهم الطعن والضرب واتخذوا الأهبة والعدة وهم كأشهر الحرم عدة، واستعان الكبير منهم بالوزير وأخذ الثلاثة بالخداع والتدبير وقتلوا قتلة شنيعة ودفنوا في الأرض بطريق الوديعة، وأسر النساء والأطفال واستباح ما لهم من الأموال وجلس على سرير الملك بلا منازع ولا شريك له ولا مدافع، ثم خرج سائراً إلى دار الخلافة والبلد الآمن من المخافة، وتخلفت عنه لأمر نابني وخيم دهر وأصابني، ونويت الإقامة بالبلد، فقيل لي: لو شاورت عريفها المستند فإنه ذو رأي صائب وفهم[3] ثاقب فسرت إليه ووقفت بين يديه فرحّب بي ترحيب أهل الكرم وقال: اجلس يا ابن عم فقلت: له إني آتيك

---

(١) لاهور مدينة شرقي باكستان الغربية وهي عاصمة بلاد البنجاب انظر «معجم الأمكنة ٤٨».

(٢) ساقط من (هـ).

(٣) في (ح) وعقل.

للمشـاورة لا للمحاورة وجئتـك للمسارة لا للمسـامرة، فقال: بُث شكواك لا عـاش من نـاواك، فقلت: كيف تقـول في السفـر والإقـامـة والسعي للرزق أو التوكل ؛ لاستقامة، فقال: إعلم أن التوكل قد ذهب أربـابه، ومـزق إهابـه وما بقي من أهله إلا الآحـاد، وأما الـذين تراهم فـأكـثرهم أهـل الإلحـاد، والأولى بحـالـك أن تتـأهب لارتحـالـك، وتشمّـر لقـطع العبـرا وتسعى في جمـع البيضاء والصفراء، فـإن المفلس غـير مقبـول، ولـو أنـه ابن المـرتضى والبتـول، فـالحق بالعسكر، وشارك من فكّـر ودبّر فودّعته فيمن ودعـه ومـا وددت أن أدعه، ثم لما خرجت من فنائه عدت ثانياً إلى لقائـه، فدخلت إليه وسلمت عليه وأقسمت عليه بأكـبر أولاده ، أن يطلعني عـلى بلاده[1] فقـال: ألم تسمع وتعي مـا أنشده الأذرعي[2].

مسـقط الـرأس بـغتـه[3] وبهـا لم أخش فـتـنـه
كـنـت فـيـهـا لمـليـك لم تـن الأفـكـار مـتـنـه
فـنـفـاني الـدهـر لمـا أسـعط الأنـفـاس نـتـنـه

فعلمت أنـه أبو الـظّفر المـوصـوف بـالتـطفّـل واقتحـام الصفـوف

---

(١) ساقط من (هـ).

(٢) يحقق اسم هذا الشاعر.

(٣) فتنة بلدة بالهند.

## المقامة العاشرة

وتعرف بالسّهرندية[1].

روى الناصر بن فتاح قال: رأيت جماعةً من السندآمين قرية سهرند فسرت سيرهم رغبة في ميرهم فأدخلوني محل الواسطة من القلادة وأفادوني الحسنى وزيادة، وحين قربنا من القرية وتحققنا ها بلا مرية، نزلنا تحت شجرة للإستراحة ولما شممنا روائح الرّاحة أقبل علينا رجل ممتد القامة، كأنه من رجال تهامة، وسلّم وهو متصاعد الأنفاس، وجلس في آخريات الناس، وملأ الأسماع بدر نثره ونظمه، حتى توهم القوم كمال عقله، وفهمه ولما رآهم انصتوا لاستماعه بكىٰ وأكثر من استرجاعه، فما منا إلاّ من أقبل عليه وفداه بنفسه وأبويه، وسألناه عما نابه وما الذي أصابه فقال: أتيت لأمر تمرض[2] منه الأجسام ولم يعق عن طالبه الظلام، ولما رأيتكم معشر الإخوان نسيته والإنسان محلّ النسيان وزاد في بكائه ونوحه، حتى خشينا خروج روحه فرمنا منه الإبانة وضمنا له الإعانة، فقال: رزقت في عمري ولداً واحداً ولم أزل به الدهر واجداً وعلمته من الآداب ما زانت به حليته وضاق على من رام بلوغ ما بلغ حيلته، وفاق به أهل علو زمانه وتصدّر في مجالس أقرانه، ولما استكمل في أفق الكمال بدره، انقضى أجله

---

(١) في (ح) السرهندية: وسرهند بفتح السين وسكون الراء معناه رأس الهند ويقال لها أيضاً سهرند كما ذكر وهي بلدة قديمة في مملكة مهاراجه بثيالة أحد راجوات بنجاب موقعها في ٣٠ درجة و٣٨ دقيقة من العرض الشمالي و٧٦ درجة و٢٧ دقيقة من الطول الشرقي «انظر معجم الأمكنة ٣٣».

(٢) في (هـ) كمرض.

وعمره، وتوفي في سحر الليلة البارحة، ولا أملك من الدنيا سارحة[1] ولا بارحة فمن منكم الندب الأريب يعين على دفن هذا الميت الغريب فأعطوه من الدرهم والزاد ما أغناه عن الإزدياد، وثم ودعهم واستقبل المفازة وجربت وراءه لتشييع الجنازة فحصلت منه التفاتة وعلم مرامي وما فاته، فقال لي: ما تريد بقطع البيد، فقلت إعانتك على تكفين الميت وغسله والصلاة عليه ودفنه وحمله، فقال: اذهب عني قبل أن تسمع الخنا منّي قلت: لا ومن أنزل الملائكة والرّوح لا أذهب حتى أواري ميتك المطروح، فكشف عن غرمول كغرمول الفيل، وقال هذا الميت الذي طليت لأجله الجميل[2] وأريد أنفق ما كسبته من الهبات الجزيلة هذه الليلة على زواج امرأة جميلة وأتأنس بأنسها وأدفن ميتي في كسّها، فعلمت أن هذا الفعل الشنيع لا يصدر إلاّ عن أبي الظفر الصفيع، وقلت له: أما آن لك أن تتوب من هذه المعاصي والذنوب، وتسأل بصدق نية وتترك الأفعال الدّنية، فقال: ومن بتقديره اليسرة والعسرة، لو سألتكم بالصّدق لم تعطوني كسره ولو طلبتكم بالمحبة لم تنطوني[3] من زادكم حبّة ولولا هذه الحيل ما بلغت الأمل فاجمل في الطلب يحسن لك المنقلب، وهذه الدّنيا الغرور لا تحصل إلا بالزُّور، وإن أردت السّعادة لا تصدق إلاّ في كلمتي الشهادة ومن قبل النصيحة يسلم من الوقوع في الفضيحة وملامك لي على هذا الحال خير من رجوعي خائب الآمال، ولو قدرت على قوت اليوم ما وقفت على القوم فعذرته بعد ما عذلته وشكرت فعله بعد أن عنفته، ورجعت إلى أصحابي والعجب حشو إهابي.

---

(١) لعله من قولهم ماله سارحه ولا رائحة أي ما له شيء.

(٢) في (ح) الحيل.

(٣) انطا لغة في أعطى يمينه.

## المقامة الحادية عشرة

وتعرف بالتّنيسريه

حـدث الناصر بن فتـاح قال: ضمّني السّمـر مع جمـاعـة في ليـالي القمـر فتذاكرنا محاسن السفر وما فيه من الرّبح والـظفر ببلوغ المـآرب والوطـر، ونحن على الفرش عدد حملة العرش، فقال واحد: نسير إلى بنكالـه[1] وقال الثـاني إلى بـرنالـه[2] وقال الثـالث بل إلى أكـره[3]، وقال الـرابع: بـل إلى مـتره[4] وقـال الخامس بل إلى امتياز كر[5] وقال السادس بل إلى إكليسر[6] وقال السابع بل إلى تنسير لأن بها العسكروبة أخلاط الزّمر، فقالوا: إنه كـالمحشر بل هو أدهى وأمر، ثم ردوا الكلام إليّ فتفاقم الأمـر عليّ، وقلت لهم: مـا خاب من اسـتشـار، ولا ندم من استخار، فقالوا: ذاك إليك، وقد اعتمدنا في أمرنا عليك، فأقبلت على الخـيرة فلم تزدني إلاّ حـيرة، وكنت سمعت برجـل ذو حميّـة وغـيره لـه مـع الله سريره، فقصدت جنابه، وقبلت رحـابه، وأخـبرته الخـبر وشاورتـه في المسير إلى العسكر فقال: يا هذا المستشار موتمن فخذ مني كلمات ليس لها ثمن من سار إلى هذا العسكر قاصده خيّب الله مقاصده، وشمت به حاسده، وظفر به معانـده، خيره لا يقوم ببعض شرِّه، ونفعه لا يفي بنزرة من ضره صفوه كدر، ونومه سهر ومـاؤه طين، وتـرابه سرقـين[6]، وحوّه غبـار وإقبالـه إدبار، فحمـدت ما قـالـه وطلبت من أصحابي الإقالة، فأبوا إلا المسير، وتركوا شور المشير، ولم يسعني إلاّ

---

(١) بنكاله هي البنغال الغربية تتبع الهند وعاصمتها كلكوتا (المنجد: ١٤٤).

(٢) في (ح) سرجين.

الموافقة ولم يمكنني إلاّ المرافقة، وقرؤا على ذلك الفاتحة، وحمائم الحزن على جوانحي صادحة، وصمّموا على ما جرى، وقالوا: عند الصباح يحمد القوم السري وسروا وأنا كالماشي إلى ورا وكان وصولهم إليه وقت العصر ولسان الزمان يتلو عليهم سورة العصر، ولما نظر القوم إلى أطرافه وبان ما خفى من أوصافه، أكثر كل واحد ندامته وعضّ سبابته، ثم لما دخل وقت المغرب أقبلت ريح من جهة المغرب، فشققت الضباب وقطعت الأسباب، وكادت تزعزع الصّياصي والصوامع، والخيام ما بين ساجد وراكع، ولما قلعت الأوتاد ظنوا أنها ريح عاد، ثم أعقبها مطر ببرد وبرد وأقعد من قام وأقام من قعد، وكثر البكاء والنوح، حتى توهموا أنه طوفان نوح، وكان قريباً منا منارة عُلم على الميل، فقلت لأصحابي: دعونا إليها نميل لأن هذا وقت اللّيل ولا نامن هجوم السيل، ولما قصدنا إليها رأينا شخصاً قد علا عليها وهو يدعوا بكلمات لا نفهمها، وألفاظ لا نعلمها لكثرة دوي الرياح وشدة الغوغا والصياح ولم نبرح أن غاض الماء واقلعت السّماء وكأن لم تكن ريح ولا مطر، ولم يبق بالأرض أثر وتبينا[1] ذهاب المطر والسحاب ببركة دعائه المستجاب، فسألنا منه الإجازة في الدعاء ليحصل لنا به عند الشدائد المدعى، فقال: لا أجيزكم إلاّ بتصحيح التّوبة عن العود إلى العسكر بعد هذه النوبة، فقال له الجماعة: سمعاً لقولك وطاعة فقال: أكثروا من قراءة سورة قريش[2] فهي أمن[3] من المخاوف وبسط في العيش، فشكرنا له الفضل الجزيل، وودعه أصحابي التوديع الجميل، وتخلفت لأعلم حقائقه وجلائله ووثائقه، وقلت له: سألتك بمن بيده أزمة القضاء والقدر أن تخبرني أأنت من الملائكة أم من البشر، فقال: أنا أبو الظفر المشتهر، وأنا الذي أشرت عليك بعدم السّفر إلى المعسكر، فقلت له: عهدي بك طالحاً فمتى صرت صالحاً فقال: من جد وجد وما خاب من سعى واجتهد، ومن داوم على الطاعة ولازم الجمع والجماعة، حاز السّعادة الأخروية ونال المطالب الدنيوية، ثم فارقني والأحشاء تتقطع على فراقه وكم سعيت بعد لألقاه ولم ألاقه.

---

(١) في (هـ) وينضا.

(٢) في (هـ) يس.

(٣) ساقط من (ح).

## المقامة الثانية عشرة

وتعرف بالكرنالية.

روى الناصر بن فتاح قال: جرى ببعض الأنداء ذكر أهل الكرم والندى فقال من حضر: قد تغير رسمهم ولم يبق إلا إسمهم، وغابوا ومضوا وذهبوا وانقرضوا، فقام[١] شاب من الطرف عليه آثار الظَّرف، وقال: لقد شططتم شططاً ونطقتم بخطا، فإني رأيت من لو أذركه حاتم لكان عنده أصغر خادم، فأنصت القوم لمقاله وقالوا: عرفنا بحاله نظفر بنوا له ونقوم بإجلاله، فقال: سبحان الملك الجليل وهل يحتاج النَّهار إلى دليل وما يجهل المعروف بين الخاص والعام إلاّ من دخل في زمرة الأنعام، فقالوا نحن غرباء أتينا من سواكن[٢] ولم نعلم من بهذه الأرض من السواكن.

فقال: أما إذا اعترفتم بجهلكم فاتبعوني بخيلكم ورجلكم ثم هلم بنا، وتسنم سنام الأرض ومشينا وراءه، حتى كاد يطأ خيْل بعضها على بعض وهو يعدو كعدو الظبا أو كحالف الآسنة[٣] والظبا ولم نزل على هذه[٤] الحال حتى وصل بنا إلى كرنال وأدخل الجمع إلى جامعها وقد أخذ التعب من الأجساد بمجامعها، ولما صلَّينا صلاة العشاء، قال: أجلسوا حتى يتهيأ لكم العشاء، ومكث يتحدَّث

---

(١) في (ح) مقال.

(٢) سواكن: مدينة في السودان على البحر الأحمر جنوب بور سودان.

(٣) القوة من قوى الوتر.

(٤) في (ح) أهي.

مع القوم إلى أن غلب عليهم النُّوم، ثم خرج منزعجاً وقد أمنت انزعاجه لظني أنه قصد قضاء الحاجة، ثم اتبعته نظري من حيث لا يدري، فإذا هو قد أخذ الخيل والمتاع، ومشى سائراً إلى بعض الضياع، فهرولت لأدركه فعرفت في المهلكة ولم أزل أذرع الأرض وأجوب، بين رفع وخفض ولم أطلع له على خبر ولا عين ولا أثر، ومكثت سبعة أيام على الشّراب دون الطعام، وفي اليوم الثامن سئمت الحياة من الجوع واللّغوب، وآن من الشمس الغروب، ثم طلع على رجل من الهنود، وقال أراك تمشي في مهمه لا يسلكه إلاّ الأسود، فقلت إني أمشي وراء رجل خداع ذهب علينا بخيل ومتاع، فقال: سحقاً لعقلك النّاقص وحظك الناكص، تخطو خطو الحمام، وتروم إدراك من يرعى مع النَّعام، فإني منذ ثلاث ليال رأيت الخيل والمال في يد أبي الظفر الهندي فهوّن عليك فتعبك لا يجدي وأجعل ما ضاع لك ذخيرة ليوم يحاسب فيها على الكبيرة والصغيرة فرجعت إلى رفقتي بخسران صفقتي.

## المقامة الثالثة عشرة

وتعرف بشاهجهان أباديه.

حدث الناصر بن فتاح قال: اجدبت الأرض حتى ضاق الطول والعرض في سنة خمدت نارها وجمدت أنهارها، وخلق قشيبها، وخرس ذئبها وشاب وليدها وذهب طريفها وتليدها نبئت أن بشاهجان أباد[1] ما يزيح الهم عن الفؤاد فاقتعدت جَرده وأعطيت صعدة ودخلتها في شهر ذي قعدة وخبرت بسوق تباع فيه من الرَّاح ما يشرى بالأرواح، وولجت حانة فيها أربعة من الأكياس [وقد ملكوا الجنون بالأكياس][3] ولبسوا من الثِّياب أحسنها ودرسوا من الآداب أحسانها، وجاء شيخ وجلس عند باب الحان ليسمع محاسن الألحان، فتناقلوا عجائب الأخبار وتناشدوا ملح الأشعار، وقال أحدهم: ما أرق بيت للعرب وما الذي يجلّب الطَّرب، وما أصدق بيت عند أهل الرُّتب وما أكذب بيت لدى أهل الأدب، فاختلفوا اختلاف المتناقضين[4]، واختصموا اختصام المتباغضين، والشيخ يتبسّم ابتسام المنكرين، ولما لم يهتدوا إلى الصواب، ولم يقدروا على الجواب، قال لهم: سلوني قبل أن تفقدوني[5] فإني حلَّال المشكلات وكشَّاف المعضلات، وقد حضرت زمن الرشيد وأدركتُ أيام

(١) لم أجدها ولعلها تنسب إلى شاهجان خامس أباطرة المغول بالهند.

(٢) أرض منبسطة.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في (هـ) المنافقين.

(٥) من كلام الإمام علي كرم الله وجهه.

الوليد وحاضرتُ ابن العميـد وبارزت[1] عبـد الحميد وسحبت بـأذيال البـلاغة على قدامه[2] وابن المراغة[3] فأنكروا قوله لرثاثة لباسه وظنّوا أن الحميّا سرت في أم رأسه، ففهم أنهم نووا حرمانه واستعجموا بيانه لبـلا أطماره، وتغـير أطواره، فقال: إعلموا أن المرء بأصغريه لا بطمريه، والسيف بذبابه لا بقـرابه، فلما وعـوا كلامه قصدوا إستفهامـه واعتذروا عليـه وعوَّلـوا في جل مشكلهم عليـه، فقال: الـرأس الذي يحب الإعتـذار قد تـركته ببرار وإن أردتم جـوابكم فاخلعوا عـليَّ ثيابكم فأعطوه ما عليهم من الملابس، ولم يعلموا أنه ملابس وسـألوه المبـادرة في حسم المشـاجرة، فقـال: إسمعوا كفيتم الـزلل خـير الكلام مـا قل ودلَّ، أرق بيت بيت الملك الضليـل ويجلب الـطَّرب مجـالسـة الحسن الجميـل وإن اتفق في المجالس سماع فذلك ألذ في الأسماع، وأمـا أصدق بيت فبيت لبيـد وأمَّا أكـذب بيت فبيت المهلهـل المشيـد، ثم استبق البـاب من غـير ارتيـاب، فمسكت بـأسـمالـه حتى تـاد يعثر في أذيـاله، وأقسمت عليـه بحليلته أن يخـبرني عن قبيلتـه ونـاشـدتـه أن يعلّمني بحسبه فقال: أمَّا قبيلتي فالبراهمة التي بعلم النجـوم عالمـه وحسبي أدبي وكسب الكمال أربي، وإن أردت الزّيادة ورمت الإفادة فاسأل أبـا ناجيـة، وأشار إلى شخص قد انتحي ناحية، فسألته عن أمره وحلوه ومرّه، فقال هو أبو الظـفـر الذي لا يفوته من عبر فعدت لألقاه ثانياً، فوجدت المكان منه خالياً.

---

(١) في (ح) باريت.

(٢) هو قدامة بن جعفر بن قدامة كاتب من البلغاء الفصحاء وفاته ٣٣٧.

(٣) كأنه لقب نبز لأحد فحول الشعراء وهو جرير، كان الفرزدق يلقب به.

## المقامة الرابعة عشرة

وتعرف بالأكبر أبادية[1].

حدّث الناصر بن فتاح قال: دخلت على أكرة[2] وأهلها من الملوك على فترة، وقد اجتمع تحتها ملكان متشاجران كتشاجر الأسود، وأكثر عسكرهما من العجم والهنود، وضاق على أهل البلد الحال، وكثر الغلاء والقيل والقال، وكان أكبر الملكين مولعاً بالنساء والملاهي غير متمثل للأوامر ومنته عن المناهي، ولما تلاحمت الصفوف، وصلت في محاريب القمم السيوف، فر الكبير بنفسه حرصاً على الاجتماع بعرسه، فأدرك وقتل أشد قتله وفي الإشارة ما يغنى عن التفصيل والجملة، ولما أطمأن الملك بالبلاد وسكن روع العباد خرجت إلى بعض القرى طالباً للقرى، فإذا أنا برجل ذو لسان فصيحة وهيئة مليحة والخدام يمشون أمامه، والوفود يقبلون أقدامه فحدثتني نفسي لمرافقته، ورغبت في مصاحبته، وكان عندي جملة من الدّنانير في مرفقي أدخرتها لحاجتي عند فاقتي، ولم أزل معه في منزلة عليه وعيشه سنيه إلى أن اتفق في بعض الليال دعتني الحاجة إلى الإغتسال، فنزعت مرقعتي وذهبت إلى البير وكأنه اطّلع على ما في المرقعة من الدّنانير، ولما عدت إلى مستقر القوم غلب عليّ البرد والنوم، فنمت غير لابس لها بلا ارتياب، فما انتبهت إلاّ والمكان قفر من القوم والثياب فازداد فكري، وحرت في أمري، فظننت به الظن الحسن، وقلت: إن أخذها أحد من رفقائه

---

(١) في (ح) الأكراوية.

(٢) أكره: مدينة في الهند على نهر جمنه كانت عاصمة المغل من عهد أكبر شاهجان.

سيرتها بوجه حسن، وخرجت في إثر القوم وأنا أشبـع نفسي من اللّوم فاستقبلني رجل فسألته عن الجماعة فقال: فارقتهم قبل السـاعة، ثم لمـا رأى تلهفي سألني عن تخلفي فأخبرته الخبر فقـال: إصبر كمن قبلك صـبر، فقلت له: أن الـرجل يدعي السِّيادة وأراه كثير العبادة، فقال: إنه أبو الظفـر الهندي الخسيس، الـذي يعجز عن مكره إبليس فاسترجعت من هذه المصيبة واستعـذت بالله من السهـام المصيبة.

---

(١) في (هـ) الغولة.

## المقامة الخامسة عشرة

وتعرف بالپاني پت[1].

حدَّث الناصر بن فتاح قال: ساقني الخط المنبت إلى بلده پاني پت، فـرأيتها ضيِّقة الشوارع مكدَّرة المشارع فسـاءتني رؤيتها، وقلت ليتني ما دخلتها ثم بان لي شيخ قد هـدمه الهـرم كأنـه قد أدرك نبـأ آدم فسألتـه عن أهل البـلاد وهل بهـا أحد[2] الأجواد فقال: أيها الأخ الحميم لا تسأل عن أصحاب الجحيم، فأغراني قوله إلى الإلحاح والعلم بالفساد من الصَّلاح، فقال أنه وفد عليهم بالأمـر المقرر الولي الصالح المعروف بكلندر[3] فدعاهم إلى الله وطاعته، وحذرهم من إبليس وبطانته فشنوا عليه الغارة ورموه بـالحجارة فـدعا عليهم بـالويـل والمحاق، وأن يبتلى أولادهم وبناتهم بالأبنة والسحـاق فحققت إجابتـه وهمت بالـودق سحابتـه فلم أصدقه بما نطق قلت: هذا إفك مختلق، ولما كان اللَّيل أرسلت السماء شآبيب الماء ولم يبق شعب إلاّ طغى ماؤهـا وكان قـريباً من البلد راهب يكـثر العبادة في الأماكن الخالية وله هناك صومعة عالية فذهـب الرجال إليـه يشكون مـا بهم من الأسى فـما وصلوا إلا قد سبقتهم إليـه النساء وقلن: لا تـدع لهم إلا بالغـرق فقد أصابنا منهم الهم والأرق فرفع يديه متوسّلاً بالرّسول وهو ينشد ويقول:

---

(١) پاني پت: قصبة متصرفية في مديرية كرنال من بـلاد الهند تبعـد ١٠٠٩ أميال عن كلكتـا و١٠٣٥ عن بمبى «انظر معجم الأمكنة ١٥».

(٢) في (هـ) بها من أهل.

(٣) كلندر: لم أقف على ترجمته.

لقد حق العذاب على أناس تجافوا عن هدى الشرع الصحيح
تعاطوا المنكرات بغير شك وما زالوا على الفعل القبيح
إذا شاهدت أدناهم تراه حسين النطق ذو وجه صبيح
يقول الأمر بالمعروف حتى يقول الناس يا لك من نصيح
وفي أحشائه حب المعاصي عن الطاعات كالمهر الجموح
ولما أنذروا بالماء قلنا مقالاً عن فتى فطن فصيح
إلهي لا تعذبهم بماء ولا نار ولا قحط وريح
فهم كانوا بقية قوم لوط وليسوا من بقية قوم نوح(١)

فلما فرغ من إنشاد أبياته إلا وأرسل الله عليهم بعض آياته وتهدَّمت بيوت البلد من المطر والبرد وسمعت من يقول: [(٢) من وراء الجدار]: سبحان الملك الستار، ولو عجّل العقوبة لأحد من الأنام لعجّل عقوبة هذا الخبيث النّمام فقال له الآخر: إياك وغيبة الأكابر، فقال: إنه خبيث الباطن طيب الظاهر وهو ممن يغلّب حبّ الولدان على النساء، ويقول الصُّبح أفضل من المساء، فقال: أين لك هذا الخبر فقال: وهل تخفى أحوال أبي الظفر إلاّ على الجاموس والبقر فشاع بهذا الحديث خبره عند أهل البلد وظهر فاحتالوا على قتله وحبسه، فبلغه الخبر ففر بنفسه، ثم إنّي اتخذت هذه الحوادث نصيحة، وهربت قبل أن تقع عليهم الصيحة.

---

(١) في (هـ) بزيادة:
أضاعوا الواجبات بكل وقت وقد ضلوا عن الحق الصريح
(٢) ساقط من (ح).

## المقامة السادسة عشرة

وتعرف بالأحمدأبادية.

روى الناصر بن فتاح قال سمعتُ بأن في أحمداباد[1] رجل له في الحديث اليد الطُولى وقد اشتهر[2] بعلو الإسناد، فجبت إليها الفيافي والمهامه، وقطعت في يومي ما يقطعه المسافر في عامه، وكان الرجل له في كل يوم من الأسبوع يوم معلوم لقراءة علم من العلوم، فاتفق ـ وكما يقال لكل شيء سبب أن دخلت عليه في اليوم الذي يقرأ فيه علم الأدب، ودخل عليه القراء ينشدون قصائدهم ويسألون مقاصدهم فانجر الكلام إلى المطالع ومحاسنها والمخالص وأحاسنها فقال بعض الحاضرين: لم أسمع لأحد من الأنام مخلص كمخلص أبي تمام شعر[3]:

يقول قومس صَحْبى وقد أخذت ... منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الجود

فقال له رجل: يا قليل العقل ويا ضعيف النقل أما تعلم أن هذا مسروق من صريع الغواني[4]، ويعرف ذلك القاصي والداني، وذلك قوله (شعر):

تقول صحبي وقد جدّ الرحيل بنا ... والخيل تستن والركبان في اللجم

(١) أحمدأباد. مدينة في الهند عاصمة مقاطعة كجرات (المنجد: ٢٥).
(٢) في (ح) شهر.
(٣) ديوان أبي تمّام ٢ : ١٣٢.
(٤) في (هـ) ضريع الغوالي.

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم[1] بنا    فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

فقال الشيخ لستما من المخلصين لاستحسانكما المخلصين، فقد قلت أحسن منهما وأتيت بما لم تبلغه معرفتهما فاسمعا هذا الفن مني وخذاه عني ثم أنشد (شعر):

لما رأتني أُحُث السير مجتهداً    وقد سلوت عن الأوطان والغرف
قالت إليّ ذهاب العمر في سفر    قد قدًّ من سقر هذا من السرف
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا    فقلت كلا ولكن مطلع الشرف

فانظر إلى المناسبة بين الشمس والشرق والتصحيف بينه وبين السرف وبين سفر وسقر والتحريف بين قد وقُدّ والتقطا هذه الدّرر

ثم إنه أخذ بيده كتاب الأغاني وشرع يتكلم على البديع والبيان والمعاني، فقال له رجل: ما رأيت في كتب التَّحسين أحسن من قول إمرىء القيس[2] في تشبيه شيئين بشيئين (شعر):

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً    لدى وكرها العناب والحشف البالي

فقال: نعم أجاد غاية الإجادة وأفاد بذلك نهاية الإفادة، وكان بَشَّار بن برد يقول: مكثت مدة لا يأخذني الهجوع منذ سمعت قول امرىء القيس البيت، فقلت بعد أن سهرت وجوعت الجوع (شعر):

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا    وأسيافنا ليل تهاوت كواكبه

وقد عززتهما بثالث ولو أحلف أن بيتي أحسن من بيتهما لست بحانث وهو (شعر):

كأنّ الأرض والأضواء فيها    سماء زانها شهب النجوم

ثم أخذ يعدّ محاسن بيته وشهرته بين الأدباء وصيته، ولم يزل ينظم الدّرر

(١) في (هـ) تقوم.
(٢) في (ح) القليس.

في الأسلاك ويستنزل الدراري من الأفلاك، واستطرد إلى ذكر الدنيا وغرورها وشومها وكثرة غمومها وهمومها، ثم أخذ في المراقبة بعد حسن المصاحبة، ثم رفع رأسه وقال: إني لأعجب من أكثر الرجال يقضي عمره في قطع البراري والرّمال، ويترك مثل هذه المجالس التي يفتخر اللبيب بها وينافس. ثم تنفّس متنهّداً وأشار نحوي منشداً (شعر):

تدور جهلاً مثل من قد دارا كيما يسمّوك الورى دوارا
مهلاً أبا الفتاح لا تغتر بالدنيا فإن العقل فيها حار
نقّ الجيوب من الذّنوب ورجسها واحذر ولا تتجمل إلا وزارا
أو ما ترى أبناء عصرك قد مضوا وكأنهم لم يسكنوها داراً
وترى الأهلة للشهور قد انحنت[1] مثل المناجل تحصد الأعْمارا
وانظر لأنفاس الأنام فإنها قد أشبهت في فعلها المنشارا
والناس كالأبقارا في غفلاتهم والموت فيهم أشبه الجزارا

فلم يبق في المجلس أحد إلا بكا واستغفر الله من ذنوبه وشكى، ثم قال: يا قوم إني أريد تطهير أولادي فلا يدّخر جهداً من قدر على إمدادي، فبادر الجماعة بإمداده حسب الاستطاعة، وأنا بِعْت فروتي حتى لا أخرج عن رفقتي، وقضى بنا بياض يومه ونحن نرتع في رياض منثوره ومنظومه، ثم لما صلّى بنا صلاة العشاء الأولى قال الذهاب إلى البيوت الآن أحرى وأولى. فذهب كل واحد منا إلى مكانه ومكانته، متعجباً من كثرة علمه وغزارته، ولما صلينا صلاة الصُّبح وطلعت الشمس على الرمح ذهبنا إلى داره ومحله، فوجدناه قفراً عن أربابه وأهله وسألنا عنه بعض جيرانه فقالوا: ذهب من آنه، وركب في سفينة قاصداً مكة والمدينة، وسألت عنه من كان عندي، فقال: هو أبو الظفر الهندي فتأسفت على فراقه، وتأسّف الحاضرون، وقرأت عند ذلك «وحيل بينهم وبين ما يشتهون».

(١) في (ح) الحدث.
(٢) الآية ٥٤ سورة سبأ.

## المقامة السابعة عشرة

وتعرف بالمرادأبادية[1]

حدَّث الناصر بن فتاح قال: حصل في عام من الأعوام ببلادنا قحط وغلاء، واستمر شهراً حتى مر من العيش ما حلا وباع الناس جميع أموالهم وبيوتهم وعجزوا عن السَّعي في تحصيل قوتهم، ولما ضاق عليّ الحال، وتقطعت أسباب الآمال أخرجت حُلي أهلي ورهنته وأثاث بيتي وبعته، وأعطيت أهلي منه نفقة الاقتصاد، وسافرت بالباقي إلى مرادأباد، ولما صرت في أثناء الطَّريق وجدت جماعة من البطاريق[2] يتعاطون تجارة البز والكتان والقز، فسررت بقدومهم، وسلكت في منظومهم، وسرنا وما فينا من يعرف غير اللسان العربي وأما بما سواه فجاهل وغبي، وتذاكرنا كيف ندخل بلداً لا نعرف كلام أهلها، ومن يأخذ البضاعة التي أتينا لأجلها، فبينا نحن نتذاكر إذ أقبل شاب أنحف من الخلال، وأضعف من الهلال، فسلم بلسان فصيح وجنان صحيح، ثم قال: أيها الأمة لا يكن أمركم عليكم غمة، فإن الله سبحانه قد خصني بجرأة الجنان والمعرفة بكل لسان، وأنا أخدمكم لله تعالى دامت نعمته عليكم تتوالى، ففوضنا جميع أمورنا إليه، وتوكلنا على الله ثم عليه، ودخل بنا البلد واكترى لنا داراً

---

(١) قاعدة مديرية باسمها في الولايات المتحدة من بلاد الهند بناها رستم خان في عهد السلطان شاهجان وسماها باسم ابنه مراد بخش وهي واقعة على الضفة اليمنى من نهر رام انظر «معجم الأمكنة ٥٠».

(٢) جمع بطريق: من اللفظة الرومية وهو القائد من قوّاد الروم.

واسعة حصينة عن الأسواء، ما نعة، ثم بعد أيام جاء وقد اضطربت جوارحه، وملئت بالحزن جوانحه، وقال: حصلت مضاربة بين الحاكم وجماعة من الأجلاف، وأخاف على مالكم فأريد أن أودعه عند صرّاف، وإذا اطمأن كل في مأمنه[1] رجع كل شيء إلى مكانه[2]، فقلنا: إليك ذاك، فما منّا إلاّ من وكلك وولاّك، فودع المال عند صراف معروف مشهور بكثرة الألوف، ثم بعد أسبوع جاء وعيناه كالينبوع، فقلنا: له ما نابك وأيّ شيء أصابك، فقال: إنّ الصراف قد حسر عن رأسه واستضاء وقت الظهيرة بنبراسه[3] وهذا دليل على إفلاسه، وقد تبرأ منه جميع أهله وأناسه، فقلنا: وهل تقدر على الإحتيال في حصول المال، فقال: ليس لي قدرة على ذلك ولا سبيل إلى ما هنالك فاشتدت علينا الكربة مع ما نقاسي بأرض الغربة، ثم أخذ لنا[4] ما نحتاج إليه بالسَّلف واطمئن الخاطر برجوع ما سلف، ولما صار من العام القابل اليوم الذي دخلنا البلد فيه، جاء ضاحكاً ملأ فيه وهو يقول: لا رأي إلاّ ما غلب البيض والأسل، ولا جزاء إلاّ ما كان من جنس العمل، وأتى معه من المال على متون الرِّجال ما يعجز الحاسب عن حصره، ويكل من رام معاناة طيه ونشره، وقال قد أخذنا هذا على سبيل المقارضة، ونويت أخذه معارضة ومعاوضة، ومكث إلى الشهر الثامن، وودعه في بعض الأماكن، وجلس على سريره واستوى وأشعل سراجه وقت الاستواء وتسامع الهنود بأمره، فرشوا الوالي على رد مالهم والوضع من قدره، فقال للوالي: هذه قواعد مطّردة، وتواريخكم بي مسعدة، فقال الوالي: أنت من أهل الإيمان وهذا مذهب عابدي الأوثان، فقال له: دامت أحكامك ماضية وأنوارك نيّرة ﴿**وإن كان ذو عسرة فنظره إلى ميسرة**﴾[5] فحكم الوالي

---

(١) في (ح) منامة.

(٢) في (هـ) أماكنه.

(٣) كناية عن الفقر يقال فلا أضاء في النهار أي فقر.

(٤) في (هـ) أخذنا.

(٥) الآية ٢٨٠ سورة البقرة.

بتخليته، ومنعهم عن مطالبته فدقّت لذلك نوبات التهاني في القلوب، وزالت عنا الهموم والكروب، ثم قال لنا: نحتاج إلى إخراج المال من غير أن يطلع عليه الرِّجال، ولكنّي سأظهر للناس إني مسافر، وسآتيكم في اليوم العاشر، فقلنا له حبًا وكرامة، ولا زلتُ مصحوب السلامة في السفر والإقامة وتوهمنا أنه سيعود في اليوم الموعود وصرنا نفتش عليه في أطراف البلاد والسوق، ونحن بذلك كمن يطلب بيض الأنوق[1] وعلمنا أنه ما يرضى بهذا الفعل من البَشر إلاّ قليل الدين أبو الظَّفر، ولم يتيسّر بعد ذلك إجتماع ولا لقاء، وصار وجوده كوجود العنقاء[2].

(١) يقال: أعز من بيض الأنوق مثل يضرب للمحال أوما لا سبيل إليه لأن الأنوق وهو ذكر الرخم والذكر لا بيض له.

(٢) عنقاء مغرب: طائر معروف الإسم مجهول الجسم وهو يضرب به المثل في الشيء يسمع ولا يرى.

## المقامة الثامنة عشرة

وتعرف بالبنارسية.

روى الناصر بن فتاح قال: سافرتُ مع رجال من فارس إلى مدينة بنارس[1] ورأيت بيوتها الوثيقة وحدائقها الأنيقة وفيها من الورد ما يشبه به الخدود ورباها شقيق ونضير، وليس له من شقيق ولا نظير، وفيها البطيخ الأخضر، والخيار والتُّوت الخاضب للأنامل، والجلنار، والنسيم الساري في الهياكل، والماء العذب [الذي][2] في حُلل الأكواب رافل، فاتخذتنا وطناً، وأخذت بها سكناً، ومكثت بها زمناً أنعم بالنعم الضّافية، والملابس الضافية، والفرش[3] الوثيرة مع طيب العلن والسريرة، حتى قدم عليّ رجل لم أعلم هو من الإنس أم من الجنة، غير أني فيها بعد علمت أنه إبليس الذي أخرج آدم من الجنة، وقال لي: إنما رجل الدنيا من تعوّد الأسفار ولا يقوم في مرابضها إلا الأبقار، فرب بلد هي أحسن من هذه بهجة ونساؤها أحسنُ صباحة وبهجة فبع الأثاث والعقار والمتاع والدار، وأنا أدلك على بلد قد أقترن اليمن بيمناها، واليسر بيسراها، كوكبها يقظان وجوّها غريان، وترابها مسك أذْفر، ونسيمها معطر وحصاها جوهر، ويومها غداة وليلها سحر، وطعامها هني وشرابها مري، واسعة الرقعة،

---

(١) بنارس قال في معجم الأمكنة ١٢ مدينة من الهند مشهورة على الضفة اليسرى من نهر كنكا تبعد ٤٧٩ ميلاً عن كلكتا».

(٢) ساقط من (هـ).

(٣) في (هـ) الفروش.

طيبة البقعة، كل المحاسن فيها مفروشة، وصور الجنان فيها منقوشة، ما خاب من أمّلها، ولا حرم من قصدها، وأم لها، لم تزل بجنود العناية حصينة[١] وبنود الوقاية[٢] من سائر الأسواء أمينْة، فعبثت يد الأشـواق[٣] بالجوارح، وسكن حبّ ما وصف بالجوانح، وبعت ما عندي بقلٍّ أثمانه، وحصدت الزرع قبل أبـانه ثم قلت له: دلّني على اسم البلد يـا ذا[٤] الوجـه الصبيح، فقال: الكنـايـة أبلغ من التصريح، ثم قال: إبق الأهـل[٥] بالبلد والأطفـال، فقلت له: كيف وقـد بعتُ جميع المال، فقال: الأحرى إبقاؤهم ها هنا واطلبهم بعد حصول المنى، فخلفتهم بالبلد، وسافرت معه متوكّلاً على الأحد وخطت[٦] عليّ ما عندي من النقد بأمره في طرف الرِّواء خـوفاً من اللصـوص والعدى، وسرنـا وهو يـدخل عـليَّ الأنس والسرور والجـذل والحبور، حتى تـوسّط في بعض البرور، فخـرج علينا بـالقـدر المنصـوص، جماعـة من اللصوص، فتـوسلنا إليهم بكـل وسيلة، ولم نقدر عـلى دفعهم بحيلة، فقال: كفيت الردا أعطني الردا، فأعطيتـه ردائي، وتركني ومـال إليهم، وصار يوكد في أخذي عليهم، فقلت له: ليس هذا من الإنصـاف، ولا من فعـل الإشراف، فقال: انـج بنفسك، قبـل أن يأتيـك ما يـذهب بحسك، فـوقعت متفكراً حيث لم أعلم بغـريمي الذي فـرق بيني وبين أولادي وحـريمي، فسمعت القوم يقولـون له: جـزاك المعيد المبـدىء خيراً يـا أبا الـظفر الهنـدي، فوطنت نفسي بانقطاع الآمال، وعلمت أنّها عثرة[٧] الأثقال.

---

(١) (هـ) حسينة.
(٢) (هـ) الوقار.
(٣) (هـ) السوق.
(٤) في (هـ) ذ ط.
(٥) (هـ) الإبل.
(٦) في (ح) خيطت.
(٧) (هـ) عثرنا.

## المقامة التاسعة عشرة

وتعرف بالجونيورية.

حدث الناصر بن فتاح قال: سافرت إلى جونيور[1] مع جماعة من مندسور[2] ولما قربنا منها، قلت لهم: أين تنزلون فيها فقالوا: في بعض مدارسها فقلتُ لهم: أنا سأنزل في بيت واليها وحارسها لأني امتدحته بأبيات رائية، وأرجو أن يجيزني بجائزة سنية، فذهبت إلى دار الأمير، فوجدتها قد جمعت الكبير بالصّغير فتأملته فإذا هو قد جمع بين الفقه والأدب، وحاز طرفي الكمال الغريزي والمكتسب، واحتوى علىٰ المنثور والمنظوم، ويفتي في جميع العلوم، والطلبة مثول بين يديه، يرفعون أسئلتهم إليه، ثم لما فرغ من الدرس في المنقول شرع يدرس في علم المعقول، ثم قصده الشعراء بقصائدهم وأبياتهم وهو يعطيهم على حسب نياتهم، فعند ذلك صغرت نفسي في عيني وأخفيت الأبيات خوفاً من ظهور شيني، فلم ألبث أن قام شاب وأنشد الأبيات بعينها بعد أن نقص منها جزئين[3] والجماعة يبالغون في تحسينها وهي هذه:

يا صاحب النفس الأبيّة والنهى جزت المدى

وحللت موضع غرة فوق السها فلك النَّدى

---

(١) جونبور: قاعدة مديرية باسمها في الولايات المتحدة من بلاد الهند وهي واقعة على ضفة نهر كومتي تبعد ٥١٥ ميلاً عن كلكتا.

(٢) في (ح) منـدنور قلت لعلها منصور بـور قال في معجم الأمكنـة ٢: قريـة في الهند في مملكـة بهـا راجة.

(٣) كذا في (هـ) وفي (ح) خبرين.

وحويت فضلاً ما له من منتهى فيك الندى

فهب الألوف تفضلا فإنها سم العدى

فسرّ بها الوالي وأعطاه هبةً جزيلةً، وخلعة وجارية جميلة، فقام شيخ، وقال: أيها الوالي هذه والله أبياتي وإنها سداسية الأجزاء، فانظر كيف سرقها ونقصها، وأخذ عليها الجزا وهي من كامل[1] البحور من ضربه الثاني فرويها[2] إلى الثامن قصد الخفض شاني، فقال له الوالي: كيف قلت فقال:

| | |
|---|---|
| يا صاحب النفس الأبيّة والنهى | جزت المدى فاشكر نعيم الباري |
| وحللت موضع غرة فوق السهى | ولك الندى والذكر في الأمصار |
| وحويتَ فضلاً ما له من منتهى | فيك الهدى والنور في الأسحار |
| فهب الألوف تفضّلا فلأنها | سم العدى ومسرة[3] الأخيار |

فالتفت الوالي إلى الشاب وقال له: يا دنس الإهاب أما تعلم أن سرقته الشعر كسرقته البر والشعير وإن من تجرأ على أخذ القليل تجرأ على الكثير، فقال: أيها الوالي جعل الله كعبك العالي امتحنا فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، ومع التعديل والتجريح يعرف الفاسد من الصَّحيح فقال الشيخ: لقد نطقت بلساني، وعبرت عما في جناني فمر أيها الوالي[4] من أردته أن يبتدىء يتبين لك من المعتدي، واشتغل الوالي ببعض شانه عن الشاب وامتحانه، فاضطرب الشيخ إضطراب الرّشا وظن أن الوالي ممن يقبل الرشا، فقال له الوالي: دع الإضطراب واسمع الجواب، ثم اشتغل عنه بأمر رعيته، فاضطرب الشيخ على جاري سجيته وقام منتصباً وأنشد مضطرباً شعراً.

---

(١) في (ح) كل.

(٢) (ح) فردها.

(٣) (ح) شهرة.

(٤) (ح) الذكي.

أشكـو إلى ضير(١) الـزمان وقسـه | من جن هـذا الحي بل من أنسـه
وأقول يا عين الأولى عشقوا الندى | صـدقـا وشـادوا حصنـه من أسـه
أبطأ الجواب عـلى الكئيب وطالما | قـد كان يـرجو فـرجـة من أنسـه
والمرء لا يرجـو الكريم سـوى إذا | سئم اللّبيب من الأذى عن نفسـه
وأخو الندى يسقى غـروس نوالـه | سقي الحيـا لـزروعـه ولغـرسـه
لا تـطو كشحـاً عن جـوابي إنني | كـالميت يـرجـو نشره من رمسـه

فقام الفتى مغضباً وأشار إلى الشيخ مخاطباً يا أذل من وتد ويا كثير الحسد وهل أطلع على أبياتك أحد، ثم التفت إلى الوالي وقال ودمعه على خدّيه كاللآلي شعر:

يا من زكت في الأصل دوحة غرسه | وسما لفضل حازه وبحدسه
لا تصغ للعذّال فيمن قد حوى | فضلاً ولم يرض الأذى من نفسه

وأراد أن يمشي إلى السادس، فقال الوالي: حسبك أيها الفارس، ثم إنه أعطي للشيخ مثلما أعطى للفتى وأصلح بينهما، وقال: قد ضل من بغي وعتى، وخرجا من داره وقلبي يصلي بنارة، وضاق علي الفضاء وشبَّ في فؤادي جمر الغضا حيث سرقت مني الأبيات، ولم أقدر على الإثبات، وأخفيت ما أجنه الضمير خوفاً لأن يلومني الصغير والكبير، وذهبت إلى رفقتي بالمدرسة، وقد غلب عليَّ الفكر والوسوسة ولما قدمت عليهم ونظرت عيني إليهم، فإذا الرّجل والفتى قد لبسا أحسن الملابس، وتصدرّا على المجالس، وتأملتهما ووقفت على التحقيق إنهما من جملة أصحابي في الطريق، وأردت أن أظهر القضية وأوطن نفسي على الأمنية والمنية، ثم رأيت أن الصبر بمثلي أحرى واحتسبت الثّواب في الدّار الأخرى، ثم سألت عنه وعن الفتى فقيل هما رحلة الصيف والشتاء أبو الظفر ونجله الأديب اللذان عليهما شعرة الذيب فسألت الله الأمان والظّفر في الإقامة والسفر.

---

(١) خ خبر

### المقامة العشرون

وتعرف بالملتانية[1].

روى الناصر بن فتاح قال عشقت أهيف الجوانح أصيد للقلوب من الجوارح، فأحرمني عشقه لذيذ المنام وهني الشراب والطعام، وفارقت بسببه الأهل والأوطان، وصرت أنتقل في البلدان وأتوسل بالأحبّا وأستوصف الأطباء، حتى جئت إلى طبيب حاذق بيد أنه عن الدِّين مارق فأخبرته بدائي، وسألته عن دوائي فأعيته الحيلة، ولم يجد إلى العلاج وسيلة، وقال: ليس لهذا الداء دواء إلَّا اللقاء، ولا يفيد فيه العزائم والرقى، ولا الحكماء والحذقا، فخرجت من عنده وراحتي صفر من الرَّاحة، وعدتُ إلى ما كنتُ عليه من السِّياحة، ولم أزل أسأل العلماء وأستوصف الحكماء، ثم إني سمعت بمليح قد أفرغ في قالب الكمال، وأخجل البدر والهلال، له جيد كجيد الظبا، ولحظ حكى فعله الظبا فخامر حبه لبى، ولم يخل الأول عن سويداء قلبي، وأكسبني عشقه هماً وأحزاناً، «والأذن تعشق قبل العين أحياناً» فتغير لذلك حالي وزاد هيامي وبلبالي، حيث بليت ببليتين، وأصبت بمصيبتين، ولم أعلم أصبو لأي الأثنين، ولم يجعل الله لرجل من قلبين، وسمعت بأن في بلدة ملتان[3] حكيماً عالماً يعلم الأبدان فدخلت عليه، فوجدته يعالج المرضى من غير إنتظار للجزاء عارفاً بالأدوية

---

(١) في (ح) الملطانية: وملتان قال في معجم الأمكنة ٥١ قاعدة مقاطعة كبيرة من ولاية البنجاب.

(٢) (هـ) الدواء.

(٣) (ح) ملطان بالطاء المهملة.

والأجزا فأخبرته بقصتي وما صار عليّ وأصل علتي، فقال: إن العشق يقطع الأوصال ولا يفيد فيه إلاّ الوصال، فقلت له: أن أحد المحبوبين بأزمير والآخر بكشمير وأنا ها هنا بين الأثنين حزين القلب قريح العينين، فقال: دع الثاني واجهد في تحصيل الأول فخير الناس من مال إلى القديم وعوّل أو ما سمعت أيها اللبيب ما قال حبيب[1] شعر:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحُبُّ إلا للحبيب الأول

فقلت له: إن هذا مقام الاختبار وليس فيه اختيار، ثم دخل عليه رجل قيل إنه ممن جمع علمي المعقول والمنقول، واستنبط الفروع من الأصول، فأخبره الحكيم بدائي، وسال منه الفكر في دوائي، فقال: سل عن هوائهما تخل من بلائهما وإذا لم تقدر على السّلوان، اشتعل بمطالعة السلوان[2] وإلا فاشتغل بمن علق أولاً بضميرك[3] وتصدَّق بمن سمعت على غيرك وأجزم وقل: توكلت على ربي واستحضر بيت المتنبي[4] شعر:

خذ ما رأيت[5] ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ومن أرجو به بلوغ الأماني أني[6] سمعت البيت كأني لم أسمع بالثاني، ثم إن الحكيم أخذ كتاب البيان والتبيين[7] فمرت به أبيات فيها حسن التضمين، فقال الرجل: إن التضمين وإن كان بالقلوب أملك فهو قريب التناول سهل المسلك، فقال له الحكيم فداك سمعي وناظري ضمّن لي مثلاً يتضمن ما في

(١) ديوان أبي تمام ٤/ ٢٥٣ وانظر الزّهرة ١/ ٢٤١.

(٢) يعني كتاب سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ طبع في بيروت سنة ١٣٠٠ ثم تكررت طبعاته.

(٣) ساقط من (هـ).

(٤) ديوان المتنبي ٣٥١ شرح اليازجي.

(٥) الديوان تراه.

(٦) في (ح) لما.

(٧) للجاحظ (معروف).

خاطري، فقلت لـه: أيها الحكيم وذا القلب السليم مـره يضمن البيت المذكـور لتطفي غليل الصُدور، فقال ضمن لـه بيت المتنبي السابق، واذكر ما جـرى له من محبوبيه الأول واللاَّحق فقام بالنبي متوسلاً وأنشد مرتجلاً شعر:

| | |
|---|---|
| رأيت ظبيــاً وظبياً قـد سمعت بـه | كـلاهمـا كقضـب البـان والأسـل |
| الشمس تعجـز عن إدراك حسنهـما | والبـدر قـد أدركتـه لـوعـة الخجـل |
| حـاز اللَّطافـة من فـرع إلى قـدم | هـذا وذاك كهـذا يـا أخـا النبـل |
| فصرت في حـيرة ممـا أكـابـده | أصبـو لأيهـا يـا قـلة الحيـل |
| فـأنشـدتني لســان الحـال نـاصحـة | بيتـاً بـديعـاً لـه التقـديم في المثـل |
| خـذ ما رأيت ودع شيئـاً سمعت بـه | في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحَل |

ثم إنه قام قاصداً إلى محله، فقلت له: إن حبّك بلغ مني بلوغ الهدى من محله، وأريـد أن أكون لـك من المصاحبين والمتسامـرين، حتى يأتي إبّان سفـر المسـافرين، فقـال إئت إلى محله اليهود واسـأل عن دار شيخ الهنـود، فمن رأيته سيوصلك إليها أو يدلك عليهـا، فذهبت ورأيت رجـالهم ونسائهم يعـرفونـه كما يعرفون أبنائهم، ودلّوني عـلى دار ذات سدّة منيعـة وشرفات رفيعـة، فلما قرعت الباب أجابني الحجاب أن صاحب المكـان اتُهم بتهمة وحبس في بيت الأحـزان، فـوقفت بالبـاب متفكّـراً ومتـأسفـاً ومتحسـراً، ثم أردت السُؤال عن إسمـه لما شاهدت من فضله ورسمه، فرأيت مكتـوباً عـلى الجدار أبيـاتاً بقلم الـرَّيحان أو الغبار[1] شعر:

| | |
|---|---|
| نـزلت بهـذا المنـزل الـرحب بـرهـةً | من الـدَّهـر والأقـدار تسعـد بـالمني |
| واعــلم قـطعــاً أنــي سـأفـوتــه | وأي فتـى بـاق على الـدهر في الـدّنـا |
| فقــل أيهـا الــرائي لمـا كتبت يــدي | ألارحـم الــرحمنُ من كـان هــا هنــا |

ثم كتب تحته: قال ذلك بفمه ورقمه بقلمه خادم خدام الإمـام المهدي أبـو الظفر الهندي، فترحّمت عليه وعدتُ إلى ما أنا قاصد إليه.

---

(١) الغبار: اسم لعلامات تدل على الأعداد.

## المقامة الحادية والعشرون

وتعرف بالأزميرية[1].

حدث الناصر بن فتاح قال: اتفق أن خرجت مع النفير إلى زيارة صاحب أزمير[2] ولما سرنا باللّيل هجم علينا السَّيل فتحصنا في بيت من بيوت الصلبان، فرأيناه فاغراً بعبدة الأوثان، ثم نظرنا إلى زاوية عن الازدحام[3] خالية، فجلسنا فيها والماء يجري في نواحيها، وأقبل جماعة بهم ما بنا يتحصنون كتحصنا، ولم نبرح أن عَلَتْ بينهم الأصوات، وتأذّى منهم الأحياء والأموات، فقمت لأكشف عن الخبر وأعلم ما بطن وما ظهر، وإذا هم يختصمون مع كبيرهم ورئيسهم وأميرهم، وقد عزّ عليَّ فراقهم وتخليتهم وطلاقهم، وهم يسألون فسخ عزمه، ويتكفلون بما رامه وتفريج همه وغمه فعنّ لي أن أكون من المصلين[4] لأكون من المفلحين،فقلت له إسمع قول أصحابك، ولا تخالف رأي أحبابك فقال الجوع والعرى بأرض الغربة أحسن عندي من الشّبع والريّ مع الهم والكربة، وإنّي لواجد بالأهل أهلاً وبالخول خولاً ولست بواجد لنفسي النفيسة بدلاً ثم قال لي: دع الفضول وأنشد يقول شعر:

أبى المجد أن أرضى بعيشة جاهل ... وأن أستطيب المكث متضع القدر

(١) في (هـ) الأميرية.

(٢) لعلها المعروفة بأجمير قال في معجم الأمكنة مدينة قديمة ذات سور مبنى بالحجارة وموقعها في منحدر واد كثير الصخور تبعد ٢٢ ميلاً عن دهلي إلى الجنوب الغربي.

(٣) في (هـ) الازدحام.

(٤) في (هـ) المصلحين.

وكيف وصيتي شاع شرقاً ومغرباً وسارت به الركبان في البحر والبر
ولي همة قد سامقت هامة السها وجازت على الجوزا وسارت على النسر
وجرت على فرق المجرة ذيلها وطأطأ لها العيّوق والكوكب الدُّرّى
وألقت إليها النيّرات بأسرها أعنتها في حالة العسر واليسر
وأقسم بالآداب والحلم والتقى وبالبيت والمسعى وما بالركن والحجر
بأني بريءٌ من كمال كسبته إذا لم أحبّ العيش في المهمه القفر
وأنضو جياد الخيل في طلب العلى وأدرك ما أرجوه أو ينقضي عمري

ثم أخذ منساته[٢] ونعليه بيديه، وخاض في الماء على رجليه، وخطر في خاطري أني إن صحبته لا أخيب، وأفوز من أدبه بأوفر نصيب، فخضت في الماء متوكلاً على رافع السماء، ولما رأيته ورآني هممت بالسؤال عن إسمه فابتدأني وحيّاني بالسّلام، وقال: ما اسمك يا غلام، فقلت: الناصر لك على ما رمت أيها الإمام، فقال: فال مبارك محمول لأبي الظفر شيخ الهنود، ثم قال إن أردتني أصحبك، وأرفع لك قدراً لا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً، فقلت: لم ينطق المولى بشطط، وأنا الكفيل بما شرط ثم ذهب إلى الرّوضة وما وقف بل زار وانصرف، ودخل دارا للمتولي على بيت المال وجلس بعد أن سلم عند النعال ثم دخل رجل بكتب للمبيع وفيها عدة من المجاميع، فأول ما وقعت يد المتولى على الفوائد[١] المغيثية، فقال: لقد جمعت هذه بين المواهب الغيثية والبسالة اللّيثية، فمن لي بمن يصفها مع الوجازة وأحسن له الإجازة فخرس القوم عن جوابه فحلَّ أليم الجوى به وأطرق كأنَّ على رأسه الطّير، وقال: لقد علمت أن ليس عندكم خير فعند ذلك قام صاحبي على قدمه وأنشد من سحر كلمه شعر:

---

(١) المنسأة: العصا.

(٢) لعله كتاب الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب في النحو من تأليف العلامة نور الدين ملا عبد الرحمن الجامي المتوفى سنة ٨٩٨ طبع في بمبي سنة ١٢٧٨ تم تكرر طبعاته.

هـذي الفـوائـد لـلآداب قـد جمعت وزال عـمّـن رآهــا الهــم والـــولـه
ولـيس بـدع إذا أعــزّ النــظير لهــا أن الــفــوائــد جمــع لا نــظير لــه

فأمر المتولي برفع محلّه بعد خفضه وبسط عيشه بعد فيضه، فقـال للمتولى: انك لن تستطيع لمن خفض الدهر رفعاً، ولا تـدفع[1] عنـه شراً ولا تجلب إليـه نفعاً، أقلني فمثلك من أقال، ومثلي من عرف حاله وقال شعر:

الــدهــر أقسم لي بخفض مكــانتي من أجــل ذلــك والمــودّب مبتــلي
فــإذا رأيتُ بني الــزّمــان تصــدّروا في منــزل جم المحــاسن معتــلي
قـالت لي النفس العروف[2] بقـدرها مــا كــان أولاني بهــذا المــنــزل

فقال له المتولي: قد عـرفت حالـك وما آل إليـه مآلـك، ولا بدّ لـك من الجلوس عنـدنا، والقبـول لصلاتنـا، والحضور بصـلاتنـا، فقـال: لا يـرد قـول الكريم ولا يردّ الكرامة إلاّ لئيم، فـأقمنا عنـده شهرين كـاملين آمنين وفي حلل المسرة رافلين، ثم وافى صاحبنا الأجل وانقطع منـه الأمل، وأخـذ رفيقي مغربـاً وأخذت مشرقاً، ولم أزل له الدهر متشوقاً.

---

(١) في (هـ) تدع.
(٢) في (ح) الغرور.

## المقامة الثانية والعشرون

وتعرف بالكشميرية[1].

روى الناصر بن فتاح قال: حضرت أملاك[2] أمير كبير بمدينة كشمير ليلة الأربعاء وتسع وعشرين من شهر صفر في السنة الرابعة من ولاية السلطان فرخ[3] سير فدعا دعوة جَفْلى جمعت الأعالي والسفلى، واجتمع لها البدو والحضر، وأهل الوبر والمدر، وبكرت قبل مجيء الناس لتحصيل مكان عند الصّدر والرأس، ولما دخل القوم جميعاً وضاق بهم المجلس بعد أن كان وسيعاً، وقدم لهم الطعام في آنية الذهب والفضة، والماء في أواني البلور من كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وتنشرح به الصّدور والند والعنبر عليهم يدور، وفي صدر المجلس ولدان أعاروا الحسن للولدان والحور، أحاط بهم النّاس إحاطة الهالات بالبدور ويتعجبون مما خصهم الله به من الكمال والجمال والبهاء والنور، فسألت عنهم، فقيل: إخوان العروس، وقد جبلت على محبتهم لحسنهما النفوس، فقلت: وأين من أرادوا زواجه على أختهم وخصّوه بسهم وافر من تحتهم، فقالوا: سيأتي بعد الآن ويجلس في صدر الإيوان ثم قلت: وما إسمه أعني صاحب الخطبة فقالوا: سيظهر لك عند قراءة الخطبة فلم ألبث أن أقبل

---

(١) كشمير ولاية في الهند موقعها بين عرض ٣٢ درجة و١٧ دقيقة و٢٦ درجة و٥٨ دقيقة شمالاً يحدها سلسلة جبال من جهاتها الأربع ممن جهة الشرق تنتهي إلى حدود تبت ومن جهة الغرب إلى مساكن الأفاغية ومن جهة الشمال إلى فراسان ومن جهة الجنوب إلى البنجاب (معجم الأمكنة ٤٣).

(٢) الأملاك: مصدر أملك، تزوج الرجل أو عقده يقال شهدنا أملاكه. (٣) في (ح) فروخ.

كأنه جذع محروق عليه وشي[1] الخز والحرير أفطس الأنف أحول العين قليل الشعور كثير الشعور[2] وليس بالطويل ولا القصير، ودخل إلى الإيوان، وجلس في صَدْره، واستقبل النَّاس بوجهه وصدره، ثم أن القاضي قال: لا تخطب إلاَّ من إذا سئل عن مسألة أناها، فقال المتزوج: أناها، ثم قال: الحمد لله الذي خلق الذكر والأنثى والعنين والقرناء والرتقى والخنثى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد ثابت الإيمان معترف بالذّنوب والعصيان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد العرب والعجم القائل تزوّجوا تناسلوا فأني مباهي بكم الأمم[3] صلى الله عليه وسلم ما تزوّج المتزوجون وتناسل المتناسلون، وبعد فإن الله سبحانه أحلّ النكاح ووعد الثواب عليه وحرّم السفاح وأوعد بالعقاب عليه، ألا وإن ممن أراد اتباع سنة سيد البشر، الفقير وضيع الحسب رقيع النّسب أبو الظفر جاء راغباً في عقيلة أهلها ومن زكت دوحة أصلها المسماة فتنة بنت فتان العطار، وأصدقها خمسين ألف دينار، ووقع الإيجاب والقبول، وانفضّ المجلس وصلّينا على الرّسول، ثم لما كان آخر الليل، صاح الصائح بالبلد، وأخذ الناس الأهبة والعدد، قالوا: ان أبا الظّفر قد أخذ جميع ما عند الزوجة[4] من الحلي والثياب، ولم يدع لها ثنية ولا ناب، فقال لهم رجل يعرف الأنساب: من هذا أبو الظفر هديتم للصواب، فإني أعرف ببلدكم ثلثمائة رجل كل واحد إسمه أبو الظفر كل منهم صالح لا يأتي منه الضرر، ولا أخاف عليكم الخوف المردى إلاَّ من أبي الظفر الهندي فصفوه لي حتى أظهر لكم الحق الجلي فلما وصفوه قال: إن هذا قد أخذ أحسنكم وأنفسكم فلا تلوموه ولوموا أنفسكم، واحمدوا الله حيث لم يقتلها أو يذهب بها، ثم بعد حين ظهر الخبر

---

(١) (ح) ثياب.

(٢) في (ح) قليل الشعر وليس بالطويل.

(٣) حديث تناكحوا تناسلوا جاء معناه عن جماعة من الصحابة وأبي داود والنسائي والبيهقي وغيره من حديث معقل بن يسار مرفوعاً تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم (انظر تمييز الطبيب ٦٢).

(٤) ساقط من (هـ).

بـرجوع أبي الـظفر فـذهبت إلى داره لأطلع على أخبـاره، فسمعتـه يقول: إني لم أخرج مالكم من بيتكم وما سبب ذهابي شيء سوى بنتكـم وذلك أنها كلفتني ما لا أطيق ومشتني غير الطّريق، وقالت لا أمتعك من نفسي ولا أمكنك من لمسي إلا إذا اتبعت[1] أوامـري وطيبت خاطـري، ثم إنها جـردتني عن الثيـاب، وركبت عليَّ بعد وضع البردعة على ظهـري من الباب إلى البـاب، ولما خـرجت ما كـان نيتي أن أعود ولكن جرى حبها في مفاصلي جري الماء في العود، فاطمأنّت بقـوله خواطرهم وقرّت بذلـك نواظـرهم ثم بعد ثـلاث أخذ الـزوجة والمتـاع والأثاث والحلي والفضة والـذهب ولم يعلم إلى أين ذهب، وصار جمـاعة الـزّوجة مـا بين مجنون وهائم منتظرين قدومه انتظار الشيعة خروج القائم.

(١) في (ح) اتبعت.

## المقامة الثالثة والعشرون

وتعرف بالبنكالية.

حدث الناصر بن فتاح قال:

سافرت إلى بنكالة[1] وكانت عثرة لا يقبل منها إقالة لأسون[2] مائها وتعفّن هوائها، ثم اتفق أني أرقت ذات ليلة وأشتقت إلى النقل فقيل لي إنه يباع[3] بسرى المقل، فلما دخلته وجدت فيه جماعة من الأمراء والرؤساء والكبراء، عاكفين على شرب الرَّاح وسماع غذاء الأرواح، وتجاه كل واحد أمرد يزرى بالملاح، وقد يخجل السُّمر الرِّماح ووجه يهزأ بالبدور وعينين قدر زانها الحور والفتور، وسوالف تلحق الأواخر بالسّوالف مملق الخصر مثرى الكفل زين الرّوادف، فسكرت من غير شرب لشراب، واستغنيت بالنظر إليهم عن سماع العود والرّباب، وتقنعت بالمعمم[4]عن زينب والرباب، ولما نظر إليّ الساقي، ورأى تغير عيني وأحداقي، ظن أني منهم، فناولني الكأس من غير أن يأخذ الأذن عنهم، فصبوت إليه وكدت أبث شكوى حالي عليه، وأردت أن أقول فيه شيئاً من الشعر، فارتج علي بكثرة ما أنا فيه من الفكر وكان كبير المغنّين جالساً على جَنْبي يُعلّم جماعته الألحان ويهديهم ويربي، فأفشيت إليه سرِّي ولم أعلمه إني طفيلي متجري فقيل يا صلاح شاني وقال على لساني شعر:

---

(١) اطنهاما تعرف الآن بالبنغال مدينة تتبع الهند عاصمتها كلكوتا.

(٢) يقال اسن الماء يأسن أسنا وأسونا، تغير طعمه.

(٣) (هـ) ماج.

(٤) في (ح) المعمهم.

ومهفهف بالدّر من ألفاظه | وسنان قامته وسيف لحاظه
أصمى الفؤاد وجفن عينه غدا | وسنان والآفات في إيقاظه
ملك القلوب مهابةً وجلالةً | وروى حديث العشق عن حفاظه

ولم نزل عن تلك الحالة، حتى طلعت من الشرق الغزالة، ثم قضينا يومنا وبعده إلى سبعة أيام بلياليها، وقد بلغت النفس من اللهو أمانيها، غير أني كثير الخوف والإضطراب لئلا يطلع عليَّ أحد من الأصحاب، ثم إنهم قصدوا التفرق والوداع بعد ذلك الاجتماع، فضاقت علي المحجة إذ لم أجد لإظهار ما بي حجة، ثم إني قلت للمعلم إني من حب هذا الفتى متغير المزاج، فقال عليك بالكتمان والصبر فهذا داء ليس له علاج، فقلت: أما إذا قلّت الحِيل وخاب الأمل، ولم تسعدنا الأيام والليالي، فقل أبياتاً تتضمن شرح حالي فقبل المقال وأحسن الردّ وقال شعر:

ليت الذي أخذ الفؤاد أباحني | تقبيل وجنته وشم ورودها
بل ليته بالوصل جاد لمغرم | مضني بأرض الهند بين هنودها
يذري المدامع كالعقيق ولم تزل | زفراته كالنّار حال وقودها

ثم إنهم تفرقوا في الشوارع كالنجوم الطّوالع، ومكث المعلم وقلت له: إني رجل غريب وإني مما علمت به حزين كئيب، فلو أذنت لي بالمجيء معك إلى دارك لأبيت آمناً في جوارك، فقال: أهلاً وسهلاً ومرحباً فسنوليك القرى والحيا، فأكرمني نهاية الإكرام إلى ثلاثة أيام، ثم قلت له: أنا أجيء إليك كل ليلة بسماع أشعارك وأخبارك، وأما الطعام فلا تتكلف به فإني لا أحب إضرارك، فقال: لا شك أن كلا إلى ما ألف يجنح وكل إناء بالذي فيه ينضح أتظن بهذا الظن بمثلي وما على الأرض إلاَّ خيلي ورجلي أورا بك تغير أحوالي ودناءة أفعالي، فوالله ما فعلت ذلك إلاَّ لصلاح شأني لأن تظاهري بمثل هذه الأمور يضر سلطاني، ثم إني قلت له: اني أريد أرض البادية، وقد هممت على السفر، فلو أخبرتني بإسمك احتمالاً أني أعود إلى الحضر فقال: أنا أبو الظفر

الهنـدي ومـا في هــذه البلد إلاّ رعيتي وجنـدي، ثم إني بت تلك اللَّيلة في داره متـأنّساً بجـواره فلما انتبهت من نـومي وأردتُ أن أصـلي أول صـلاة من يـومي جاءني رجل دنس الثياب، وقال: بادر الخروج إني أريد أن أغلق البـاب فقلت: وأين صـاحب البيت؟ فقـال: لا أدري أحيٌّ هــو أم ميت وإنمـا هــذا حكم السلطان جاءني بتغليقها قبـل الأذان. فخرجت متقـطع الأحشاء وأنا أتلو﴿يؤتى الملك من يشاء﴾.

وتعرف بالفتنيـة[1].

روى الناصر بن فتاح قال:

حداني خوف الفتنة إلى مدينـة فتنة[1] سمعت بـأن سلطانها الحاكم لـه يوم يجلس فيه لرد المظالم ويضرب بينه وبـين الناس ستـارة ليرى ولا يُـرى، ويفوض الحكم إلى رجل من أكابر الأمراء، فذهبت للنظر إليه، والتفرج عليه فرأيت الأمـير بين أثنين متخاصمين، وهو يقول للمدعي: اعف عنه في هذه المرة واتـرك متـابعـة أبي مرة، فقال: لا أعفو عنه في هذه الفعلة ولو أنه مالك أباطيله، ثم إنـه أصلح بينهـما، ودفع الخصـام عنهما، ودخـل إلى محل السلطان، وتبعتـه في جملة الخدام والأعوان، فقال له: بلغ من امتهانك بنا وبأمرنا أن تسمع الأمثال تضرب بغيرنا ومن هذا الذي أحسن العمل حتى ضرب به في محل حكمنا المثل، فقال الأمير: اعلم أيهـا الملك لا زالت رايات قهـرك منثورة وآيـات نصرك على جهـة الدهـر مسـطورة أن هـذا الملك لـو تبـذل لـه ملك الهنـد بحـذافـيره لم يعــطك ملكـه بجذاميره[2] فقال: وبـم حاز هذه الرتبة العليّة والمواهب السنية، فقـال: بحسن النِّية وانقياد الـرعيّة والـورع والديـانة والعـدل والأمانـة، فقال لـه أمير آخـر إن وصفك له[3] بهذه الأوصاف تشم منه رائحة الخلاف، فإنا نرى أكثر أهل بـلاده

(١) فتن أو فتنة بلدة قديمـة من الهند من ولايـة بزودة مـوقعها في ٢٣ درجـة و٥١ دقيقة من العـرض الشمالي و٧٢ درجة و١٠ دقائق من الطول الشرقي (انظر معجم الأمكنة ٣٩).

(٢) في (هـ) حذافيره وجذاميره: أجمعه.

(٣) ساقط من (هـ).

يقارف الرجل منهم ما أحب من أهله وأولاده، ولو كان في الأرض خصب وسعة ما اختار الفراق والدّعة، ولو خلصت نيته ما تقربت رعيته فقال: إعلم أن الذين تخرجون من أرضه في كل عام على ثلاثة أقسام، منهم من حكمت عليه المقادير بلبس الصوف بعد لبس الحرير، وبشرب الحمأة وأكل الشعير بعد أكل الجواري باللَّحم وشرب الماء النمير، ومنهم من سَوَّلت له نفسه الأمارة بأن في الإغتراب الرِّبح والتجارة، ومنهم من نزع به شيطانه وامتدت في الغي أشطانه[1]، فنفاه الكبير والصغير والسَّادة والعبيد، لأن أرضهم تنفي الخبث كما تنقي النارُ خبث الحديد، فقال الملك: لقد شوَّقتني إلى مراسلته ومكاتبته ومواصلته، فانظر من يذهب بكتابي إليه ويبلغ سلامي عليه نرسل معه من الهدايا اللائقة، والتحف الفائقة، فقال الأمير: يا مولاي أدام الله أيامك الزاهرة وجمع لك خير الدنيا والآخرة أن الملوك لا يرسلون رسولاً إلاَّ من ذوي العقول الراجحة وممن على شمائلهم النَّباهة[2] لائحة، فقال له: اذهب أنت وأتني بأخباره، ودر في ملكه وأقطاره[3] فقبل الأرض، وقال: أنا أقوم بالندب والفرض، ثم أمر للمنشيء بكتابة المكتوب، وقال: أوجز إيجازاً لا يخل بالمطلوب، وتجهَّز الأمير بالتحف والهدايا على متون البغال[4] وظهور المطايا ومعه من النَّقد خمسون ألف أحمدأكبرية[5] وخمسون ألف جهانكرية[6] وسافرت معه ومشيت خلف جماله رجاء أن ينالني بعض نواله، ولما دخلت إلى قرية يقال لها بهوم قد فرخ في أطرافها البوم خرج أهل البادية وأخذوا مواشي أهل البلد الرائحة والغادية، ولم يؤخذ على الأمير لا قليل ولا كثير، ولكنه اتخذ خروجهم

(١) جمع شطن: الحبل.
(٢) في (هـ) النباهية.
(٣) في (هـ) أفكاره.
(٤) في (هـ) الخصال.
(٥) كذا في الأصول ولعله أحمداكبرية عمله في ذلك الوقت نسبة إلى السلطان أكبر بن همايون التيموري أحد ملوك الهند وأشهرهم. انظر نزهة الخواطر ٥/٧٤.
(٦) نسبة إلى جهانكير بن أكبر شاه سلطان الهند وفاته سنة ١٠٣٦ (انظر نزهة الخواطر ٥/١٢١).

ذريعة إلى المكر والخديعة، وأقام بذلك المكان، وكتب كتاباً إلى السُّلطان واخبره أن جميع ما عنده قد ذهب، وأنه في حيرة لا يدري أين يذهب، فكتب إليه الملك المال يغدو ويروح، والغنيمة سلامة الروح، وأرسل مثل ما أعطاه أولاً، وقال له: كن على الذهاب معوِّلاً فسار، فلما وصل إلى مليبار[1] أخذ بها بيوتاً وعقار، وخلع ربقة الطَّاعة من جيده، ولم يخف من عقابه ووعيده وتحققت أخباره من رجل جندي فقال هو أبو الظفر الهندي وهذه الصَّغيرة من أفعاله فلا تغتر بلين أقواله ففارقته وأصحابه ولا تنظ الى ما هم فيه ينقلبون «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

(١) مليبار: مقاطعة في الهند من ولاية مدراس (معجم الأمكنة ٥١).

## المقامة الخامسة والعشرون

وتعرف بالقواليرية[1].

حدث الناصر بن فتاح قال: ساقتني المقادير إلى الإجتياز بقلعة قوالير فرأيتها كأنها تنادم النجوم وتتستر بالغيوم أو تروم الإطلاع على ما في اللَّوح من قضاء المحْتوم، قد بعد في السَّماء مرتقاها حتى تساوي ثراها من ثرياها، ممتنعة على الطلب والطالب، منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب، فاشتقت إليها والتفرُّج على ما فيها، فقيل لي أن ليس لأحد إذن في دخولها ولا في حلولها ونزولها لأن الملك إذا غضب على أحد أرسله إلى واليها ليحبسه في أعاليها، ثم إني بذلت شيئاً من مالي لبعض خدام الوالي فلبسني لباس الموكلين[2] بالحبس، وقال: أدخل وأنت مطمئن النَّفس، ولما دخلت أقشعر مني الإهاب لأن ظاهرها فيه الرَّحمة وباطنها من قبله العذاب، ورأيت رجالاً قد طالت أظافيرهم وشعورهم كأنهم من الأموات إلاَّ أنهم لم تأكل أجسامهم قبورهم، ورأيت رجلاً منهم قريب عهد بالسجن مطرقاً بالحيا كإطراق الوعل في الدجن[3] فاستنطقته فإذا هو أفصح من سحبان[4] وائل، وأبلغ أهل زمنه الأواخر منهم والأوائل،

---

(١) في (هـ) معرب كوالير وفي المنجد ٥٠٩ «غواليور مدينة في الهند كانت عاصمة الهند في أيام إسلام شاه تابعة لولاية ماديا براديش».

(٢) في (ح) المتوكلين.

(٣) المطر الكثير.

(٤) سحبان وائل: هو خطيب فصيح ضرب به المثل تكلم امام معاوية ساعات فقال: أنت أخطب العرب فقال سحبان والعجم والجن والأنس.

فملت إلى محادثته ورغبت في مصاحبته، وبقيت في أكثر الأوقات أجيء إليه وأتزود عليه وأخرج في بعض الأحايين وأمر على البوّابين ولا يمنعني[١] أحد منهم بظنهم أني ممن معهم، ولم أحتج إلى أخذ الإذن منهم، واطلع على هذا الخبر رفيقي وصاحبي وصديقي، ثم إني سألته عن سبب تبعيده وحبسه وتقييده، فقال: كنت بدار الخلافة مقيماً، وللملك في أغلب الأوقات نديماً، وكانت له زوجة عديمة الأشباه والنظائر قد فاقت بجمالها على جميع الحرائر كأنها قد علمت من أرباب التنجيم أن الملك رجل عقيم، وراسلتني وقالت أخاف على ذهاب هذه النعم والأيادي، ويصبح الملك في يد الأعادي فقلت لها: أطلبي من له شبه بالسُّلطان حتى لا يشتبه الولد على العراف والكهان، فقالت: ليس لزوجي شبيه غيرك ولا يرجى إلاَّ خيرك فأجبت سؤالها وحققت آمالها، وكانت تأتي إليَّ سرًّا في الظلام، ولم يعلم بنا أحد من الأنام إلاَّ جارية تأتي معها، وقد أصمت الشهوة مسامعها فأفصحت في كلامها وطلبت مني قضاء مرامها، فقلت لها: من أعطاه الله القدرة لم يترك البرّ ويأكل الذرة، فحقدت عليّ بصدرها، وأخبرت الملك بزوجته وأمرها فأمر على الزَّوجة بالصلب وعلى هذا الفقير بالضَّرب، ثم إنه سأل العلماء عن قتلى، فلم يفتوه إلاّ بحبسي وعزلي، وأرسلني إلى هذا الوالي وأمره على التضييق عليّ والتَّشديد، فها[٢] أنا كما ترى مكبل في الحديد، فأدخلت عليه المسرّة والبشرى، وقلت له سيجعل الله بعد عسر يسرى، فقال: لو سألت الوالي أن يفوض إليك أمري لفرجت غمي وكشفت ضري، فتوسلت إلى الوالي ببعض الهنود، فأعطاني مفاتيح القيود فصرت أحله في الليل إذ عسعس وأقيده قبل انتباه الحرس والعسس، وبقينا على هذا مدة مديدة وأشهراً عديدة ثم إنه ترك النَّوم مدة واشتغل بأشعار ابن الوردي، وسألته عن اسمه فقال أبو الظفر الهندي، ثم إني تركت لأجله نومي وبقيت أرقد طول يومي، ثم

---

(١) في (هـ) يجيبني.

(٢) (هـ) وفيها.

لما طال عليّ السّهر رقدت ذات ليلة وقت السّحر، فلم أنتبه[1] إلاّ والقيد برجلي ويدي والرّجل ليس عندي، وفتشت عـلى المفاتيـح فلم أجدهـا فعلمت أنه قـد أخذها فتغطّيت بثيابي طول نهاري ولم أطلع أحداً على أخباري، ولما صار اللّيـل قرأت بعض آيات من سورة هود[2] فـانحلت ببركتهـا القيود، وخـرجت هاربـاً مكرراً لقـول من في فنه قد تفرّدا:

إذا أنت أكرمت اللئيم تمردا[3]

وقـوله:

أفعــال من تلد الكـرام كـريمــة    وفعال من تلد الأعاجم أعجم[4]

ولم أزل رافعـاً أكف الضّراعة متـوسّلاً بصـاحب الشفاعـة أن يهـديني إلى سلوك أحسن المسالك، ويقيني شر المخاوف والمهالك.

---

(١) (هـ) انتبهت.

(٢) (هـ) اليهود.

(٣) من قول المتنبي (ديوانه ٣٨٧):

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته    وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

(٤) من أبيات لابن أبي حصينة الحسن بن عبد الله المتوفى نحو سنة ٥٠٠.

## المقامة السادسة والعشرون

وتعرف بالصرَّنجية

روى الناصر بن فتاح قال: اشتاقت نفسي إلى الأترنج فسألت عنه فقيل أنه لا يوجد إلا في بلد صرنج[١]، فسافرت إليها مع جماعة من الأدباء والعلماء والخطباء، فلما وصلنا إلى فنائها سألنا عن علمائها فقيل ليس بها إلاَّ الحاكة والصَّباغون والحدادون والصائغون، وفيها جماعة من الحكماء والعلماء الأعلام لكنّهم قد تغيروا بصحبة الحكام، وقد فشي فيهم فعل الحرام والظلم، ولم ينظم لحاكمها حكم، فقلت لأصحابي: إني أرى أن[٢] في السفر السلامة والعطب والضرر في الإقامة وأخشى أن يخسف الله بهم ويهلك بسببهم، فسافروا تغتنموا، وتجنّبوا مواضع التهم لئلا تتهموا فلما وعت كلامي المسامع، فقالوا ما منا إلاَّ مطيع لك وسامع، ولما خرجنا من البلاد نحو الميل، ضاق من كثرة الخلق[٣] عليها السبيل، وانثالوا من كل ناحية ومكانت، وتجمعوا من جميع البلدان وهم قاصدون إلى البلدة التي خرجنا منها والبُقعة التي تجاوزنا عنها، ويقولون دخل البلد بعض الوُعَّاظ، وقد فاق في بلاغته خطيب عكاظ، وإنه سيخطب ويعظ النَّاس يوم الجمعة، فطوبى لمن رآه وسمعه، فرجعت دون رفقتي، وأخذت معي قَدر نفقتي، ولما قضيت[٤] النَّفل والفرض، وجلست

---

(١) لم أجدها.

(٢) ساقط من (هـ).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) (ح) قضينا.

لاستماع الوعظ أقبل الواعظ يمشي مائساً وبردائه متطيلساً، وصعد المنبر وقال: الحمد لله الكبير المتعال الذي جرت عادته بالإمهال دون الإهمال، الذي رفع العلم حتى قصر كل مقصّر دونه وأنزل في كتابه **﴿وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّنه للناس ولا تكتمونه﴾**(١) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عَبد بذل لعباده النصيحة وحذرهم من العصيان والوقوع في الفضيحة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا والقائل من رأى منكم منكراً فليغير بيده(٢) إلى آخر الحديث الآمر بأخذ الطيب وترك الخبيث، صلى الله عليه وسلم صلاة يمتد مداها إلى يوم الدين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد أيها الناس أوصيكم بتقوى الله وطاعته، والاحتراز عن إبليس وبطانته فانتبهوا من سنة الغفلة ولا تغتروا بالمهلة فإن رسوم الدِّين ببلدكم قد عفت وأعلام الهدى قد طمست وأحكام الشريعة قد عطلت والفرائض قد رفضت والمحارم قد انتهكت، والخمور قد شربت، والذكور قد نكحت والمكافيف والرمصاء، قد انتبهت والأيتام والضعفاء قد ظلمت، والدماء قد سفكت، والشرور قد كثرت، والفتنة قد عظمت حتى لبس الإسلام في هذا الزّمان الفرو مقلوباً، وصار كما قال عليه بداء الإسلام غريباً(٣) فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، وقرب فيه الماحل وبعد فيه الفاضل واستكمل الفاجر واستنقص فيه الطاهر، وكذب الصَّادق، وصدق الكاذب واستؤمن الخائن واستخين(٤) الأمين وهاجت الدَّهماء وكثر الضلال والعمى فلم يبق من الإسلام إلاَّ اسمه، ولا من الدين إلاَّ رسمه، وأنتم عباد الله غير مقدورين من الله بتغيير ذلك ولا متروكين عن المواخذة بما هنالك فتوبوا وصححوا التَّوبة قبل إغلاق بابها، وقبل طلوع الشمس من

(١) الآية.

(٢) حديث من رأى منكم منكراً رواه أحمد ومسلم والأربعة عن أبي سعيد (كشف الخفاء ٢/٣٢٨).

(٣) حديث بد الإسلام: رواه مسلم عن أبي هريرة انظر كشف الخفاء ١/٢٣٣.

(٤) في (ح) كذب.

مغـربها، فبكى القـوم حتى كاد أحـدهم لا يستطيـع الحـركـة إلاَّ إذا جـاء آخـر وحـركه، ولقـد رأيت الواحـد يسبح في دمـوعه وكـدت أحصى من زفراتـه عدد ضلوعـه، ولما رأى الخـطيب القوم كجـذوع نخل منقعـر هرب كـالسّيل المنهمـر وتبعتـه في طريقته لأطلع على حقيقتـه فالتفت إليَّ وقال: يا مهـدي ارجع أنـا أبو الظفر الهندي، فرجعت إلى رفقتي السابقة، وجـوانحي من كثرة البكـاء والخوف خافقة.

## المقامة السابعة والعشرون

وتعرف بالبارية

حدَّث الناصر بن فتاح قال: رأيت جماعة من أهل ستاره[1] قاصدين إلى قرية باره[2] فتبعت عيرهم وصحبت أميرهم، ولما وصلنا إلى القرية المذكورة رأيت أهلها يفرحون بقدوم الغريب كفرح الناس بالباكورة[3] وأكثر أهلها سادة وسيما السيادة عليهم، يحبون من هاجر إليهم، وصرت كل ليلة أحضر الطَّعام في بيت أميرهم وسيدهم ورئيسهم وكبيرهم، واتفق أن خرج عنه جماعة ليس لهم هم إلا إتلاف الأموال، والنفوس، قد مرقوا من الدين مروق السهم من القوس، ينتسبون[4] إلى بني أميّة ويظهرون بغض السادّة الحسنية والحسينية، وأظهروا العناد والفساد، وغاروا في أطراف البلاد، وضاق النَّاس مما حلّ لهم ولم يجسر أحدهما يخبر الرئيس لعدم اكتراثه بهم ولما ضاقت أحوالهم، وضاعت أموالهم فتشوا على من يخبر الأمير بالتصريح أو بالإيماء والتَّلميح، فتقهقر الناس إلى وراء حتى الأكابر والشعراء فخافوا من اتساع الخرق على الراقع، وسريان هذا السم الناقع، وعجز الكبير والصغير عن الجسور بأخبار الأمير، فاتفق أن جاء رجل من بنجاب[5] يبيع الكرباس[6] ورفيع الثياب، ولما وصل إلى سور

(١) ستارة: مدينة بالهند عليها حصن عظيم هائل مستصعب الفتح (تاج العروس ٣/٢٥٥).

(٢) في تاج العروس ٢٧٩/٩ بارهة ناحية بالهند.

(٣) باكورة الثمرة أولها.

(٤) في (هـ) يكسبون.

(٥) بنجاب: ولاية في آسيا الجنوبية تتقاسمها الهند والباكستان.

(٦) الكرباس: ثوب من القطن وقيل الثوب الخشن معرب كرباس بالفارسية.

البلد المحروس، أخبره أهله بما حل لهم من البؤس، فلبس أحسن ثيابه وودّع ماله عند بعض أصحابه، وقصد الأمير وقبّل الأرض بين يديه ووقف تجاهه يثني عليه، ثم أنشد وهو متصاعد الأنفاس غير مكترث بأحد من الناس شعر:

أمّا العيون فقد أودى بها السَّهر ... مثل القلوب لقد أودت بها الفكر
وليس بدع فإن الخلق في تلف ... أصابهم من دواعي دهرهم ضرر
وصار في كل أرض ينزلون بها ... جمر تشب ولا يطفي لها شرر
مصيبة عمت الأقطار قاطبة ... إن الجوارح بالآفاق قد ظهروا
وأظهروا كلما أخفت بواطنهم ... من بعض آل علي حيثما قدروا
فليت شعري من أي البلاد أتَوا ... أفكهم مالك أم ملّهم سقر
أم من أقاصي بلاد الهند قد ظهروا ... أم من مقابرهم ليلاً قد انتشروا
يا آل طه فلا نامت عيونكم ... إن لم تقوموا على من بالهدى كفروا
خذوا بثاركم منهم فهم أمم ... لم يعرفوا الحق لا برداً ولا انتفر
واستأصلوهم ولا تبقوا لهم أثراً ... فإنهم في جميع الأرض قد فجروا
واستنجدوا شيعة طال انتظارهم ... إلى قيامكم يا أيها الغرر
فرب عضب له في غمده زمن ... إن فارق الغمد لا يبقى ولا يذر
ورب قوس نقي من كل حادثة ... يزينها الانحنا والسهم والوتر
ورب أسمر يحكي قد غانيته ... إن هزّ في كف قوم هابه البشر
ورُبّ سابح قد طال المقام به ... إذا جرى مدة الاقبال والظفر
ورب ذي لمة كالليث تحسبه ... إن كر في كفه الآجال والقدر
ورب أمرد لم يصبو لكاعبه ... ضجيعه الحزم والهندي والحذر
قوموا فإن إله الخلق ناصركم ... يا آل من شرفت قدماً به مضر
صلى الإله عليه ما بدا علم ... وما هما الورق بالأقطار والمطر

فجلس السيد مستوياً بعد أن كان متكئاً، ولم يتكلم بل أشار إلى بعض قوّاده بإحضار آلة حربة[1] وجواده، فعلم القوم أنه سيركب بطلبه السلاح

(١) (ح) التعربة.

والمركب ولم يضع رجله في ركابه إلاّ وحوله خمسون ألفاً من إخوانه وأصحابه، فكروا على القوم وهم كالجراد المنتشر، وعلم العدو أنه يوم نحس مستمر وتوهموا أن الغنيمة في طلب الهزيمة، وانهزم بالخفيف رجالهم، وتخلف الثقيل وأطفالهم، ونسائهم، فتبعوهم وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال وغنموا جميع الأموال، ورجعوا إلى أوطانهم بالسَّلامة في أبدانهم وأموالهم وأديانهم، ثم إن السيد أمرهم بالحضور لتقسيم الغنيمة ووضع لهم في ذلك اليوم وليمة عظيمة، وأعطى البنجابي كواحد منهم، فلم يرض إذ لم يميّزه عنهم، وقال لي: أنظر إلى ما أخرج على هذه الولائم، ولم يخصني بزيادة، وأنا السبب في كسب هذه الغنائم، فقلت له: لو امتد حثه بشيء من القصائد لم تخب من جزيل الفوائد، فقام وقال: يا سيد السادة ومن نرجو منه الإفادة، إني قد امتدحتك بقصيدة فريدة فهي إن قبلت سعيدة، فأرجوا أن تشرفني بجائزة تكسي مفرقي بها فخراً وتعزني بها دنيا أخرى فأذن له في الإنشاد فقال وأحسن وأجاد شعر:

إن جزت نحو الكثيب الفرد فاستقم — واقرأ السلام على المفتي بسفك دمي
خود من العرب العرباء في شرف — وفي المطال وخلف الوعد كالعجم
شقيقة البدر إلا أن بينهما — فرقا جلياً لعقل الحاذق الفهم
فنورها لم نزل لضيا لأعيننا — طول الزمان ونور البدر لم يدم
والشمس لو لم تغب قلنا شقيقتها — لكنها ضرة بالحكم والحكم
والغصن في لينه يحكي تمائلها — لكنه إن تمله الريح لم يقم
والمسك قد رام أن يروي بشامتها — حديث عَرف فلم يقدر ولم يرم
نعم روى نهدها الرُّمان مفتخراً — والشهد يروي رضاباً ذقته بفمي
لم أنسها إذ أتت بالليل في خفر — لكن أنوارها أجلت دجى الظلم
باتت معانقتي من غير ما حذر — عن المخاوف والأحزان في حرم
حتى بدا الصبح بالأنوار ساطعة — كأنه وجه رب الجود والنعم
السيد المجتبي المأمول من فضحت — سيول كفيه سيل المزن والدِّيم
بالمرتضى وبا بنيه سما وعلا — وحازماً حاز من فضل ومن همم

شهم همام له الأساد صاغرة ... ثبت الجنان إذا حر الوطيس حمي

كالليث ذوو ثبات غير خافية ... ونجدة وثبات ثابت القدم

عين الزمان تجلي في وغى وندى ... بحلية السابقين الباس والكرم

حاز الفضائل من عز ومن شرف ... بعزة الماضيين السيف والقلم

وغاية الوصف إني لست أحصرها ... قد حازه مع جميل الخلق والشيم

لا زال في شرف الإقبال ما طلعت ... شمس وما صدحت ورق بذي سلم

فاهتز السيد وأعطاه جملة من المتاع والثياب والفرش وألف أحمر من سكة السلطان العادل محمد كام بخش[1] فدعاه وخرج مسافراً بما إليه أسداه، وسألت عنه فقالوا: هو ابن هاني[2] زمنه أبو الظفر الهندي.

(١) أحد ملوك المغول بالهند توفي سنة ١١١٩ (انظر الدول الإسلامية ٢/ ٦٩٥).

(٢) هو الشاعر المعروف وفاته سنة ٣٦٢.

## المقامة الثامنة والعشرون

وتعرف بالشمس أباديه

روى الناصر بن فتاح قال اشتريت أبـا زياد[1] وسـافرت عليـه إلى شمس آباد ولما صرت بأثناء السّبيل وأقمت يوماً للإستراحة والمقيل، وأقبل رجـل حسن الصُورة والوجـاهة، ومعـه ولد يعـرف من فحوى كـلامه أنـه ذو أدب ونباهـة، فسـألني عن حـالي ومـا سبب سفـري وارتحـالي، فقلت له: ضيق البـــدين وهـم الدّين، وعدم المعاش وما يحصل به الانتعاش، فقال: أبشر قد غار نجم نحسك وأفل، وطلع نجم سعدك بأفق الأمل، وقد جعلت لك كل يوم ديناراً، ما زلت في صحبتي، فإذا أردت السفر إلى أهلك أمدّك بقدر همتي وطاقتي، فأخـذت يده وقبلتها وشكرت يده[2] وقَبلتها، وارتحلنا إلى البلد وقصدنا واليها المستند، وكان دخولنا على الوالي، في يوم جمع السافل والعالي، ولما دخلنا عليه جثا الرجـل بعد السلام على ركبتيه وقبَّل الأرض بين يديه وقال[3]: يـا مولاي وصـاحب الفيض والإمداد إني قصدتك من أقصى البلاد وجبت الأغوار والأنجاد، وقاسيت بذلـك المتـاعب الشـداد، والآن قد حللت بسـوحـك المكـرم، وانخت مـطيّتي ببـابـك المعـظم، وألقيت في فنائـك عصى التسيار، فـأرجـوا أن يقـابلني بمـا يقـابـل بـه الأخيار، فقال له الوالي: قدمت خير مقدم فلا تـأسف على مـا فات ولا تنـدم،

---

(١) في (ح) أباديـاد وأبو زياد كنية الحمار أنظر المرصع ١٩٤.

(٢) اليد هنا الصَّنيعة.

(٣) ساقط من (هـ).

وهـل أصحبـك أحـد غـير هـذين النجلين السَّعيـدين، فقـال: لا وأدام الله أيامك، ونشر في الآفاق أعلامك، فقال الوالي: إني أريد شاعراً أديباً لبيباً ماهراً له معرفة بعلم الشعر ومبانيه يؤلف بين رقة ألفاظه وجـزالـة معانيه، فقال الرجـل وأشار إلى ولده: هذا حامل لواء الشعـراء ولا يوجـد له نـظير على ظهـر الغبراء، فقال الوالي للولد: أتعرف الشعر بأوصافه، وتفـرّق بين علله وزحـافه، فقـال: كيف لا أعرفه وبي امتدت أسبابه وقامت أوتاده، وأنا عـروضه الـذي رفع عليـه عماده، وانخفض به عن رتبة العلو إسناده[1] فقال الوالي اكتبـوه في دفتر الأجراء ولقبوه بأمير الشّعراء، ثم قـال الوالي لأبيه: جزيت خيـراً وكفيت مكروهاً وضَيْراً وأمر له أن ينظر له كـاتباً جيـد الصنعة بليـغ اللفظ حسن الخط يكتب بالأقـلام السبعة فقال الرجل: سأحضر إليك في غد كاتباً لا يوجد مثلـه في الزّمن اللهم إلا أن يكون بقطر اليمن، ثم أمر لنا بـدار للسكنى، وقال: طعـامك يكـون من ها هنا، ولما أصبحنا طلب الرّحل ولده وغيّر لباسه، وصبغ لحيتـه ورأسه ولمـا ذهبنا للوالي قال له: هذا الكاتب الماهر الذي اشتهر بـين البادي والحـاضر، فقال لـه الوالي: بين ما تحسنه وصف، فقام منتصباً كالأنف، وقال: الحمد لله لقد وفقت في صنـاعتي ابن مقلة، وعبد الحميـد وياقـوت وابن البـواب وابن العميـد، ولا يحسن للمرء أن يتكلم بفيه إلا بما يحسن، ويعلم أنه فيه، فقال الوالي اكتبوه في دفتر الكتاب الأنجـاب، ولقبوه بـرئيس الكتاب، ثم قـال للرجل: مـا لولـدك لم يحضر اليوم فقال: معه أثر سهر وغلب عليه النوم[2] وكذلـك لا يمكن حضورنـا الجميـع لأني أخشى على الـدار أن تضيع ومكثـا مدّة وهـو يتسلّم ما قـرر لهما في الديوان، ولم يحضرهما معاً في وقت من الزّمان، واتفق أن جرت بينه وبـين ولده مشاجرة أفْضت إلى المضاربة والمناحرة فذهب الولد إلى الوالي شاكياً، ومن الغيظ والحـزن باكيـاً، وقال: هذا أبي وإن كان أحسن آدابي، فقـد أساء إليّ مـع إنه لا

---

(١) في (ح) سناده والسناد في الشعر هو كل عيب يوجد في القافية قبل الروي وهو خمسـة أنواع سناد الإشباع وسناد الناسيس وسناد الردف وسناد الخد وسناد التوجيه (انظر كتب هذا الفن).

(٢) ساقط من (هـ).

يأكل إلا من اكتسابي، فأمر بإحضار أبيه، وقال: كيف تسيء إلى هذا الولد النّبيه، فقال: إن هذا أعق من الضّب[1] وألسع من العقرب، وفيه بعض صفات حميدة زينُ المناظرة وحسن العقيدة شعر:

ولكنه في كل يوم وليلة    على ظهره يسرى وفي بطنه يمنى
ويؤتى ويعطى بابتداء تكرماً    ولا تعلم اليسرى بما تمنح اليمنى[2]

فقال الولد: ما كنت أعلم أن فيك هذه السُّموم النقيعة، وإنك كسراب بقيعة، ولقد صدق القائل وما أظنه قال إلاّ فيك بأيام صبائك وظهور مخافيك شعر:

من مسّ بالبطن ظهر أرض    ومسّ بالظهر بطن غيره
فلا تكن آمناً أذاه[3]    ولا تكن راجياً لخيره

فقال الوالي: الكتاب الكتاب إذا أردت العتاب وهو دليل المحبة بين الأحباب، ومتى كان مشافهة فهو مسافهة وأصلح بينهما وأرسلهما إلى الدّار بعد أن أعطى لهما ألف دينار، فذهبا إلى الدار وجلس كل واحد في طرف لا يكلم صاحبه من شدة الغضب بل من شدة الصّلف، ونمنا ولما كان وقت السحر انتبهت وليس لهما عين ولا أثر فحينئذ علمت أنه راعي البقر أبو الظفر الذي لناقة صالح عقر ولبطنها بقر، وانهزمت من خوف الوالي مستغفراً من سوء أقوالي وأفعالي.

---

(١) في الأمثال ١/ ٢٥٠ أعق من ضب: يريدون الضبة وعقوقها أنها تحمي بيضها أشد الحماية ثم إذا انفلق عن الحسول ظنتها بعض ما يتعرض لبيضتها فقتلتها حتى لا تتخلص منها إلا الشريد قال الراجز:
أعق من ضب وأفسى من ظرب.

(٢) في (ح) يعطي.

(٣) في (ح) لشره.

## المقامة التاسعة والعشرون

وتعرف بالنَّزولية

حدث الناصر بن فتاح قال: سافرت مع بعض العبيد إلى أرض نـزول لشراء الحديد، ولم أر فيها غير الحدادين فقط، وجماعة آخرين ولكن كلهم سقط، فضاق صدري لعدم الأنيس، واتفق أن جزت إلى محلة للمفاليس فرأيت فيهم الفطن والأديب والحاذق واللبيب، فاستفدت منهم نكاتاً رائقة وأبياتاً فائقة وانشرح صدري بمجاورتهم، حتى اشتقت إلى مسامرتهم ومحاورتهم، فسمرت معهم على تعاطي كؤوس الآداب والأشعار، وتناقل ملح الملح من العجائب والأخبار، ولم نزل على ذلك حتى رأينا بياض النهار

وقد صممت على الفراق رأيت ذلك أمراً لا يطاق(١)

وغلب عليّ البكاء والرقة، ولكني كلفت نفسي على حمل المشقة، وودعتهم والدَّمع يجري سيولاً، والأسف، يجري(٢) عليّ ذيولاً، ولما فارقتهم رأيت شيخاً يوصي ولده يقول: يا بني عليك بكثرة الصّمت وإياك الفضول، فإنك سترد على أمير جبار لا يميز عند الغضب، بين الأرذال والأخيار، بل ولا يفرق بين البارد والحار، فإذا سئلت بكلمات عديدة فلا تجب إلا بكلمة واحدة سديدة، ولا تلتفت في مجلسه نحو اليمين والشمال، ولا تطالع في وجوه أرباب الجمال،

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) في (هـ) تجر.

وأجلس كـأن السكينة عليـك، ولا تعْبث بيديـك، وإذا خـرجت من عنـده لا تفش ما سمعته ورأيته، ولا تخبر أحداً بما رويته، فقال الـولد: لقـد أسمعت ذا أذن واعية له إلى مكارم الأخلاق أشرف داعية، ولكن يا أبت نحتـاج إلى بعض الدراهم والدَّنانير ندفعها إلى الحجـاب وخدام الأمـير، فقال الشيـخ: أنسيتَ ما قال لنا القطب الشهير لما اجتمعنا به وهو على شاطيء الغـدير، أمـا قال ستجـد تاجراً ينجر في الحديـد يعطيـك من النَّقد مـا تريـد ويحصل لـه ببركتـك الفتوح والبركة والربح الكثير، بأدنى حركة، فقلت لنفسي: لك البشارة بهـذه الإشارة، وتقـدمت إليه وسلمت عليـه فقبل سـلامي بأطـراف عينه، ولم يلتفت إليّ كـأني آخذ ما بين يديه، فقلت له: ألك فيّ رفيق يعينك عـلى نَصب الطريق، فقـال: بشرط أن يكون أطوع من الحـذاء ولا يصدر منـك أذى[1]، فقلت: أكون لـك أطوع من الزوجة الصَّالحـة للبعل، وأحقـر وأذل من النَّعل، فقـال: سر أمامي واستفـد من كلامي، وإيـاك والمخالفـة وهات مـا عندك عـلى طريق المسـالفة[2] فـأعطيتـه في ذلك الآن ألف أحمـر من سكـة شـاهجهان[3] وذهبنـا إلى دار أمـير المدينة وكان دخولنا عليه يوم الزينة، فرحّب بنا وسألنا عن سبب إيابنا، فقال له الشيـخ: جئنا من جبـال الثلوج منتجعين رفـدك وفارّين من العلوج[4] وحـدق الولد بعينيه فتبين بأدبه وجماله وزينته، فقال للشيخ: لو تجعل ولدك عندنا يـربي أولادنا وعبيدنا فإني أراه في الأدب حسن المتاع[5] طويـل الباع فقال: أيّها الأمـير إني شيخ كبير وما لي من يخدمني، وعند الاحتياج ينفعني غير هذا الـطفل الـذي أصرفت عمري في تهذيبه، وأتلفت مالي على تأديبـه، ثم إن فيه من المعـايب ما

---

(١) في (هـ) شيئاً إلى إذا.

(٢) في (هـ) المسابقة.

(٣) شاهجان بلدة هنالك تنسب إلى شاه جهان من سنة ١٥٩٣م إلى سنة ١٦٦٦ لـقبه خـرّم خامس أباطرة المغل في الهند خلفه ولده أورنك زيب (انظر المنجد في العلوم ٣٨٢).

أخاف أن لا يرتضيهـا من الأمير الـرأي الصائب، منهـا أنه إذا هبَّ الصبـا مال وصبا، وإذا شـم الهوى نبهـا وما عليـه من نفسه أن حـل الهون بهـا، وإذا طال الجوى به لم يحسن جوابه، وإن استحسن قصيـدة وقوافيهـا أذهب القوى فيهـا، وإذا رأى تأمل الملأ فيه ضحك ملء فيه فقال الأمـير: لا فض لك فم إنمـا هذا من المدح في معرض الذم، وما قولك إلاَّ كما قيل في المثل السيار: ألـكِ عذر أم حـمـار، فلم ينطق الشيخ بكلمة كـأن أحداً ألجمـه فأمـر لنا الأمـير بألف أحمـر ذلك اليوم وقـت العشيـة، واتفق رأينا عـلى أن نبيت بمسجد البلد ونسـافـر في صبح غد، ولم أنتبه إلاَّ والشيخ قد طار وأخـذ معه نجله، ووضـع تحت وسادتي نعله، وقد كتب بخطه على جنبها: أنا أبو الظفـر الهندي فطوبى لمن تيقظ ونبّها، فقمت وقد صار فؤادي، حزيناً عليلاً وأتلو «ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً».

(١) سورة الفرقان الآية ٢٨.

## المقامة الثلاثون

وتعرف بالالـه أباديـة

روى الناصر بن فتـاح، قال:

دخلت عـلى حاكم الـه آباد[1] فـرأيته يسـأل سيـاحـاً عن أحـوال البـلاد فقـال السياح: أما في الحقيقـة والمجاز فلم أر أحسن من أهـل الحجاز وأمـا في العلوم الباطنة والظاهرة فلم أر أعرف من أهل مصر والقـاهرة، وأمـا في طهارة القلوب والتنزّه عن الدّرن فلم أسمع أحسن من أهل اليمن، وأمـا في التنعم في الملابس والطعام فلم أشاهد مثل أهل إيـران والشام، وأمـا في الغلظة والقساوة، فلم أر مثل أهل وادي سـماوة[2]، وأما في النجـدة والباس فلم أر مثـل الرّوم وفـاس، وأما في الحكم والصناعات والتّزيين والتحسين، فلم أر مثل أهل الهند وأهل زير آبـاد[3] والصين، وأمـا في حسن البحث ولكن مع الشقـاق، فـما رأيت كـأهـل العراق، وأما في الـورع والأمانـة والعبادة والـديانـة فلم أر كأهـل بلد ضَلّ عن قلبي اسمهـا وما غـاب عن عيني رسـمهـا فقد اكتنفهـا واديان يقـال لأحدهما عيديد فيه كل جهبنذ صنديد، ويقال للآخر النّعير قد جمـع كل مـبرة وخير وهي بينهما كالعروس تشتاق إلى حسنها النفوس، وقريب منها بلدان أخر قد جمع فيهن كلّ فضل يدخّر، فقال له الحاكم: كم مدة أقمت فيها وهل درت في نـواحيها،

(١) اله أباد: مدينة مشهورة وهي قاعدة الولايات الشمالية الغربيـة من الهند الإنكليـزية مـوقعها عنـد ملتقى نهر كنكا بنهر جمنا على السكة الحديد (انظر معجم الأمكنة ٦).

(٢) سماوة بادية بين الكوفة والشام أرض مستوية لا حجر فيها (انظر مرصد الاطلاع / ٣٧٤).

(٣) زير باد: جزيرة بنواحي فارس (المراصد ٦٧٩).

فقال: أما إقامتي بها كانت أربعين ليلة وإلى الآن نفسي على فراقها عليلة وأما السير فسرت في نواحيها ودخلت إلى بواديها وعفّرت خدي بواديها، فقال الحاكم: إن هذا البلد ليس كمثلها، فطوبى لمن أصابه من وبلها أو طلها ويا فرح من تفيَّأ بظلها، ولعلَّ[1] معك شيئاً من ترابها أم من الثياب التي غسلتها بمائها وأنت بها، فقال: نعم غسلت بها هذه الملوطة وهذا الرداء وهذه الفوطة، ولكني لا أسمح لأحد منها بخيط ولو أنه ممن يظله الفريط[2] فلم يزل به، حتى أخذ منه الملوطة وأعطاه ألف دينار في خرقة مربوطة، وأمره بالسّكنى في جواره، وحكم له بدار قريب من داره، وسمعته يسأل عن خادم لأجل الخدمة، ولو أنه من أهل الذمّة[3] فقلت له: يا ذا القدر الرفيع أنا الخادم المطيع، فقال اذهب واكنس البيت، واطلب ما يحتاج إليه من الشمع والزّيت، وأما الشراب والطعام، فقد تكفل به سيد الحكام، ومكثت في خدمته سنة كاملة وهو يعاملني بالمجاملة[4]، وسمر ذات ليلة عند الحاكم وأنا قائم على رأسه كما هو شأن الخادم، فقال له الحاكم: حدثني بأعجب ما رأيت في أيام السياحة من أهل القباحة[5] والملاحة، فقال: أيها الأمير رأيت أشياء ونسيتها وسمعت أشياء وما حفظتها، بل رأيت من الغرائب جارية واقفة، وقاعدة قائمة، وحية ميتة، ثم قال له كم لك مدة وأنت تسيح في الملك الفسيح، فقال: عشر سنين، وأنا مفارق للبنات والبنين، وقد مضى من عمري ثلاثون سنة، وما ظفرت عيني من النَّوم بسنة، فقال له: مع صغر سنك كيف، ابيض راسك واصفر لونك، وضعف حواسك، فقال أيّها الأمير إني فتنت بظبي غرير صرفت لأجله مالي وتغيّر بسببه حالي، ولم يزل يوعد في مواعيد كاذبة، وأنا أؤمل نفسي بآمال

---

(١) في (هـ) ولول.
(٢) الفريط مقبرة تريم من حضرموت مشهورة بصلحائها.
(٣) في (هـ) الدمنة.
(٤) في (هـ) المحافلة.
(٥) في (هـ) القبابة.

خائبة، ثم إني رأيته يكثر المزاح مع رجل فلاح والفلاح يقبل خديه ويدغدغ خده بيديه، وليس لي قدرة على منعه ولا حيلة على دفعه، فتركت الوطن واخترت ركوب المهالك، وابيض شعر رأسي لذلك، وقد سئلت قبل ذلك عن هذا السبب الذي أصابني به النّصب فقلت هذين البيتين وأنا حزين القلب قريح العينين شعر:

ألا لا تعجبوا من شيب رأسي فوجدي شب في قلبي لهيباً
وخلت الظبي في شبكات غيري وهذا يجعل الولدان شيباً

فقال له الوالي: لا فض فوك ولا فقدك أخوك، وانعم عليه بإنعامات وأعطاه ثوباً معلماً بعلامات، ورأيت في خاتمة «على تمسك الإنعام أبو الظفر الهندي أقل الأنام»، فعند ذلك قلت لنفس الهرب الهرب قبل الإفتضاح عند العجم والعرب، لأن هذا الرجل وإن كان كلامه أحلى من الضَّرب فهو أعدى من الجرب وانهزمت وليس بيدي غير درتين، وأنا أقول لنفسي: لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين(١).

(١) حديث لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين عن سالم بن عمر مرفوعاً (انظر الشهاب ٢/ ٣٤).

## المقامة الحادية والثلاثون

وتعرف بالوجينية

حدث الناصر بن فتاح قال: دخلت على والي وجين في يوم عاشوراء وهو في حزن على سيدنا الحسين فرأيته يندب بما يقطّع القلوب والأكباد وقد أمر جنده بلباس السّواد وصلة الأرحام وإطعام الطعام للفقراء والأرامل والأيتام، ثم دخل عليه شيخ ومعه ولد لا يوجد مثله في الزمن، فصيح اللسان جري الجنان حسن الوجه نظيف البدن وقد لبس الشيخ ثياباً مصبوغة، وسراويل من جلود غير مدبوغة غير أنه لم يبك مع القوم، ولم يحزن كحزنهم في ذلك اليوم، فقال له الوالي: إذا علمت من نفسك عدم الموافقة فلا تطلب المرافقة فقال: ليس لي قصد إلا أن أراك وأتيتك[1] بعيدان من أراك فقال الوالي: هذا دليل على كثرة مساوئك لإتيانك بهديتك مساويك، فقال: جعلت فداك ولا أحوجني الله إلى سواك جاء في الحديث: تهادوا ولو بسواك[2] فقال الوالي: أخبرني سبب إيابك، وصبغ ثيابك، فقال الشيخ لولده: أجب الأمير على لساني واعلمه بما صار علي[3] واضمره جناني فانتصب الولد واقفاً وسل من لسانه مرهفاً وقال شعر:

بالأمس[4] قد كنت بالأوطان مسروراً      واليوم بالهند قد أمسيت مأسوراً

---

(١) في (ح) وأتيت لك.

(٢) في الحديث تهادوا تحابوا (وصيغ أخرى) عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً (انظر الشهاب ١/ ٣٨١).

(٣) ساقط من (هـ).

(٤) ساقط من (هـ).

لبست للحـزن أثـوابـاً مـصبـغـة | وكـل دهـري بمـا قـاسيت عـاشـورا
وكـل أرض أراهـا كـربـلا ولكم | عـانيت كـرب بـلاء كـان مستـورا
عـانيت مـا لم يـعـان الأولـون ولم | يـسمـع بـه الـغـير إلا ظنّـه زورا
فـالجسـم في تـلف ممـا أكـابـده | والقلب يمسي بنـار البيـن تنـورا
والأرض أضحت بدمع العين معشبة | والصّخـر والـرمـل مبلولاً وممطورا

ثم سقط من غلبة البكاء على البساط وقد بل ثوبه بالدَّمع والمخاط، فقال الوالي: ليس عليه خلاف رشوا على وجهه ماء الورد والخلاف[1]، ولما فـاق أمر الوالي بثياب من ثيابه، ثم سأل الشيخ عن حرفته واكتسابه، فقـال الحرفـة التي وجـدنا عليهـا الآباء والأجـداد قد نُـودي عليها في سـوق الكساد وهي تعـاطي الأدب الـذي تفتخر[2] بـه العرب، فقـال الوالي: إن طبعي يميـل إلى التجنيس فـأحب أن تتجارى مـع ولدك بكلمات تكـون كالـدُّرر النفيس، فقـال الشيـخ: اعذرني فإن السعادة والشقاوة لهـما علامـات، فقال الـولد: والمرء إن سفل وإن علا مات، فقال الشيخ: ومن الناس من إذا منع الكرى مات، فقال الولد هذا إذا لم يكن من أهل الكرامات، فقال الشيـخ: ومنهم من إذا سمع الـدعامات، فقال الولد هذا إن لم يكن في الثبات دعـامات، فقـال الشيخ: ومنهم من يصعق إن غنت الحمامات فقال الولد بل منهم من إذا شاهد الحمى مات فقال الشيـخ: ومنهم من يقسم في الحب بقسامات، فقال الولد: ولكن قلبه لو قسامات، فقال الشيـخ: ومنهم من إذا شـاهـد الملامـات، فقـال الـولـد هـذا حـال من يكـره الملامات، فقال الشيخ: ألا ترى أن العاشق إذا سلا مات فقال الولـد[3]: نعم لكنـه يعيش إذا حيّوه بسـلامات، فقـال الشيخ: ومنهم من يشمئـز عنـد حلول السقامات، فقال الولد: بل لو حل السقامات، فقال الشيخ: ومنهم من يتأنس بالكلامات فقال الولد: ألم تر أن الحيوان إذا فقد الكلأ مات، فقال الوالي: لقد

---

(١) الخلاف صنف من الصَّفصاف.
(٢) (هـ) تضجر.
(٣) ساقط من (ح).

بلغتما الغاية وانتهيتما إلى ما ليس له نهاية ولا شك أن الزمن شغل عنكما ببنيه واشعل جذوة الأسف بفؤاد كل بنية، فقال الولد[1]: صدقت أيها الأمير لقد سمعت والدي ينشد في يوم الغدير مخاطباً لزوجته لما زادت في معاتبته شعر:

قالت أراك فقير الحال مطرحاً وقد جمعت كمال الحسب والنسب
فقلت ما ذاك عن عيب تشبَّث بي لكنها أدركتني حرفة الأدب

فقال الوالي: لعل الزَّمن يرق لكما ويترحم عليكم، ويصرف عنانه إليكما، فقال الشيخ: هيهات هيهات مضى ما مضى وفات ما فات، ثم أنشد هذه الأبيات شعر:

الدهر قد صار في انقلاب وقد غدا بالمنى ضنيناً
من يرج مالاً بغير حظ يلق البلا في المنى دفينا[2]
لو أن أم الرجا حبلى رجوت منها إذا جنينا
لكنها عاقر عقيم فصار منها الرجا جنونا

فترحم عليه الوالي وجعله في جملة من يسامره ويجالس، وولّاه على المساجد والرباطات والمدارس، فقبلها وهو لها كاره لما فيها من المشاق والمكاره وغلبت عليه الأفكار والوساوس والهموم وتبرّم من أهل المدارس على العموم، وانفت نفسه من مجالستهم فضلاً عن محادثتهم فكتب أبياتها وأرسلها بيد طفل صغير إلى جناب ذلك الأمير وهي شعر:

لم يشرب العشاق إلّا من يدي ورووا أحاديث الهوى عن مسندي
قد سدت أبناء الزمان بما حوت نفسي الشريفة من كريم المحتد
وفضائل قد حزتها وفواضل فيها أقرّ معاندي ومفنّدي
أنا مقصد لأولي النهى وأنا الذي نوديت ما بين الورى بالمفرد

---

(١) ساقط من (ح).
(٢) في (هـ) وفيها.

لــكنني في بــلدة مــا إن بهــا | مــن نــال علماً نــافعــاً عن سيّــد
بــل ليس مــا يثق الصَّــديق بــوده | بــل مـا بهــا من مسعف أو مسعــد
وإذا تــأمــلت الــذي قــد نــلتــه | ورأيـت أبنــاء الــزمــان المـفسـد
أنشــدت من حــزني عــلى مــا نــالني | بيتــاً قــديمــاً منبئــاً عــن مقصدي
«خلت الـدّيـار فســدت غـير مســود | ومن الشقــاء[1] تفردي بالسؤود»[2]

فلما قرأها الوالي أمر بإحضاره في ذلـك الوقت وقال: هذا رجـل محتاج إلى التهديد والمقت فعاد الرسول، وقال: قد ذهب وغلق باب الرباط وكتب بخط يده على البلاط أنا أبو الظفر الهندي الشهير الذي أقرّ بفضـلي الصغير والكبـير، وأنا شيخ الهنود ورئيس الجنود، فقال الوالي: ألا بعدُ لمدين كما بعدت ثمود.

(١) في (ح) الشقاق.
(٢) البيت في الزَّهرة ٢ : ٦٩٧ وبهجة المجالس : ٦٠٧ وينسب لحارثة بن بدر ولغيره.
(٢) الآية ٩٥ سورة هود.

## المقامة الثانية والثلاثون

وتعرف بالدقلورية

روى الناصر بن فتاح قال: سمعت بأن في بلدة دقلور نساء فقن في الحسن على الحور وحدائق قد جمعن بين النَّور والنُّور فحداني حادي الشوق إلى ما فيها، والنظر إلى سكانها والشرب من صافيها، ثم إني فكرت في الرفيق قبل الطَّريق، فوافقت شيخاً قبيح الصورة وحسن السيرة والسريرة، له إطلاع على أخبار الأوائل وفي الفصاحة أفصح من سحبان وائل، وحين وصلنا إليها، وقدمنا عليها رأيناها ضيّقة[1] المباني وسيعة المغاني، قد جمع فيها كل مليح وحسن، لا عيب فيها إلا أن القريب بها ينسى الأهل والوطن، وأكثر سكانها أفاقية ما بين يمانية وعراقية، فسحر رفيقي أهلها بسحر كلامه، فصاروا لا يمشون إلاّ تحت أعلامه، ولا يفعلون أمراً بدون إعلامه، ولم يزل بها على لذيذ الطَّعام والشَّراب، وسماع المزامير والرّباب، والهمّ لا يتمكن من الدخول فيها، والسرور لا يسعه الخروج عنها، وحمائم أغصان حدائقها صادحة، ونسائمها غادية بالبشر ورائحة، ثم إن رفيقي غلب عليه البطر، فعزم على السفر، وأردت أن أفارقه فقال ما هذا شرط المرافقة بل من شروطها الموافقة، فسافرنا في بعض البرور، فبلينا بما أوحر الصدور وقلة الرَّاحة وخلو الراحة، ومعاشرة الأراذل واشباه العواذل، فقلت له: لو رجعنا إلى البلد وعدنا إليها، نرجوا أن يتم لنا الأنس فيها، وفي نواحيها، فقال: هيهات أن نجدها على

---

(١) في (هـ) ضعيفة.

حالها، فإن الدنيا قد أذنت بارتحالها، فقلت له: على كل حال الإقامة بها أحسن من جوب الأرض، وكما يقال بعض الويل أهون من بعض، فصرف عنانه إلى جهتها واستقبلت دابته البلد بجبهتها ولما وصلنا إليها رأينا بيوتها خاوية والرياح فيها داوية، وليس بها إلا الكلاب العاوية، وقد سكن في أطرافها بعض البادية، ورأينا عجوزاً على بابها تندب على أصحابها وأترابها، فسألناها عن البلد، ومن بها من الأعيان، فقالت: ليس الخبر كالعيان دعاهم داعي المنون فلبو داعيه ونعاهم غراب البين فسمعوه بأذن واعية، فوقف الشيخ بنفس حزينة وكتب بالفحم على باب المدينة شعر:

سلوا الربع ما بال المعاهد دارسه ... وعهدي بها في سالف الدهر آنسة
ألم بها خطب فإني أرى بها ... وجوهاً غدت من شدة الحزن عابسة
وقد ذوت الأشجار من حر ما بها ... وأغصانها الخضر اليوافع يابسه
ولم أنس إذ جزت الحمى ذات ليلة ... وخلت عجوز الحي بالباب جالسة
تقلب كفيها وتلطم خدها ... كشاكلة أمست من الأنس آيسة
وقلت لها يا هذه ما الذي جرى ... وأين أسود خلتها ثم كانسة
وأين بدور قد تكامل نورها ... وأين رجال في حمى الحي حارسة
وأين غوان قد رأيت قدودها ... كأغصان بان بالتنعم مائسة
فقالت دعاهم داعِيَ البين بغتة ... فأبياتهم أضحت مدى الدّهر بائسة
وأجسامهم بعد التنعم في الثرى ... وألسنهم بعد الفصاحة خارسة
هنيئاً لشخص بات معتبراً بهم ... قد اتخذ القرآن ليلاً مؤانسة

ثم قال لي: اذهب إلى حيث شئت من الضياع فإني قد عزمت على الانقطاع، فقلت له: أنا أكون معك من المنقطعين وأكون لك نعم المساعد والمعين، فقال لا يمكن هذا فدع عنك الهذا، فقم ولا تجلس الآن عندي، فأنا أبو الظفر الهندي، فيا طالما قدت الجيوش، وملكت الحبوش، وقد فرقت الأموال، وبلغت الآمال، واليوم قد صرت بحمد الله ممن طهرت جيوبهم أما سمعت قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم﴾.

## المقامة الثالثة والثلاثون

تعرف بالأدونية[1].

حدث الناصر بن فتاح قال سافرت لأنزه عيوني في محاسن أدوني فرأيت بها سبيلاً إلى[2] المفقود وقد مد على الوفود، والحياء الممدود وقد قصر على نسائها البيض والسود، وخرجت المرة بعد المرة إلى المكان المعروف برام جهرة[2] وشربت من ماء عينها الجارية السائرة، فذكرتني بحلاوتها مياه الآخرة، ورأيت مسجدها المذهب المنقوش الذي بناه رئيس الجيوش، فرأيته قد بناه على أسلوب عجيب وتركيب غريب، يعجز الواصف عن بعض وصفه ويظن الواقف فيه لصفاته أنه سيوفي من أمامه أو خلفه، ورأيت بها عصابة فقد أحيوا ما اندرس من معاهد الصّحابة وما رأيت علماءها إلاّ تذكرت أيام الأشخر[3] وما رأيت أبطالها إلاّ ونسيت ذكر عنتر ولا رأيت نساءها إلاّ وترحمت على المسك والعنبر، ولا رأيت ولدانها إلاّ وحدثتني نفسي أنهم الكبريت الأحمر، ولا رأيت ترابها إلا ونسيت العبير والعنبر، فألقيت بها عصا تسياري، وجعلت الإقامة بها من أهم أوطاري وعشت بها عيشة هنية لا أخشى إلا نزول المنية، وأتفق أن خرج خارجي على أطرافها ووصل أذاه إلى أكابرها وأشرافها، فساروا بأجمعهم إلى أمير البلد، وقالوا له قد حلّت مناعرى الجَلَد، وإنما هذا من جملة الرعايا، والحلم

---

(١) في (ح) العدونية.

(٢) في (ح) الحياء المقصود.

(٣) الأشخر.

عنـه من أعظم الـرّزايا فقـال لهم: أرجعوا إلى بيـوتكم فلا تهتمـوا بـه واهتمـوا بقوتكم، وأرسل إليه سريه فلم يطلع أحد من تلك الـبرية، ولم يـزل يبعث إليه سرية بعد سرية، وهو يغلبها حتى عظمت على النّاس الرزية، ثـم إن مـن الطاف الله الخفيـة ابتلاء الخارج بعشق امرأة هنـدية، فصـار من عشقها لا يفـرق بين الصبـح والعشية، وبقيت تتجنى[1] عليه وتظهـر له من جمـالهـا، ولا تسمـح لـه بوصالها وعجز عن المحاربة والتّدبير والمضـاربة، فـأرسل الأمـير جيشاً وأمـره أن يأتي به في قيـد الحياة، ووعـد من أتاه بـه كما أراد مـا يشتهيه ويتمنّـاه، فأتـوا به أسيراً على ظهر جمل من الجمال وهو أصفر الهرو والخف[2] من الخلال، فلما مثل بين يدي الأمير قال هذا الرجـل الحقير يصـدر منه هـذا الفعل الخـطير، ثم قال له: أنت الذي تخيف السبل وتبيح إتيان النساء من الدبر دون القبل، فقال: أنا الذي أحمل الأثقال وأغلب الأبطال وأقهر الرجـال وأقطع الـرمال وأظنك رأيتني بعين الإحتقار ولو كان هـذا المقام مقـام فخر لـرأيتك الإفتخـار، وإنما إذا نـزل القـدر عمى البصر، وإذا انقضت لمدة لم تنفـع الحيل والعـدة، ولو لا بليت من العشق والهيام ما قمت في هذا المقام ثم تنفس الصعد وقام ينشد شعر:

| | |
|---|---|
| قـطعت بروراً ليس يـرجى بها قـطع | وجاوزت أرضاً دونها السيف والنطع |
| وخفيت بحـاراً تـقصر العـين دونها | وكـم سـاءني ضروكـم سرني نـفـع |
| وقـاسيت أهـوالاً وفـرجت غمـة | وعـانيت أحـوالاً وكم ظلني نـقـع |
| وبـارزت أبـطالاً وفلّيت حـدهـم | وصـارعتُ آساداً ومـا مسني صَرع |
| ولمـا بـلاني الحب أصبحت مغـرمـاً | كئيبـاً ولا يـرثى لي الأصـل والفـرع |
| فتنت بـظبي كـالقضـيب رشـاقـة | وكـالبدر حسناً زانـه الـبرد والـدرع |
| عـلى فترة الأجفـان قد جـاء مـرسـل | نبـي مـن الـغـزلان لـيس لـه شرع |
| إذا رمت منـه الـوصـل قـال تـذلّـلا | أتـطلب وصلاً عنـد من شأنـه القطع |

(١)

(٢) ساقط من (ح).

فـانحل جسمي واستمـر عـلى الجفـا وصرت بـلا عقـل ولم يـرق لي دمـع
وقــد قـسم الأعــراب بـيني وبـينــه ففي قسمتي خفض وفي قسـمـه رفع

فرق لحالـه الأمير وعفا عن ذنبـه الخطير، واستتـابه عن الـذّنوب وفعـل القبائح والعيوب، وطلب الهنديـة واستلمها، وعقد بينهما، وفي يده سلّمها وقال له: خذها مسرة الدهر، واكتب بيدك ما وجب لها من المهـر، فكتب: أما بعـد فأقول وأنا أبو الظّفر الهندي، بأن في ذمّتي وعنـدي لفخر النسـاء بنت مرداس، خمسـون ألف عبـارة عن خمسـة أكيـاس، من سكـة الـراجـة رام داس، ثم إني سافرت بعدما أقمت بالبلدة مدة وأنا أحسده عـلى ما حصـل له من الفـرج بعد الشدة.

تعرف بالكنورية.

روى الناصر بن فتاح قال: كنت في أيام الصّبا أنشق نسيم الصَّبا وأدور حيث أدور حتى أدخلني بلدة كنور[1] فاتفق أن حضرت مجلس الوالي في بعض الأيام، وقد كثر فيه من كثرة الخلق الحر والزحام، ولما رآني قام وأخذ يدي بيده وأجلسني قريباً من مسنده، ورأيت طبائع القوم غير مؤتلفة، وهو يخاطبهم بألسن مختلفة ثم أمر بإحضار المشموم والعود والناي والمزامر والعود. ولما تكامل أنسهم وكاد أن يغيب من الطرب حسهم، سأل الأمير بعض الحاضرين عن بيت لبعض المتقدّمين، فأجابه رجل جالس في آخر الناس قبيح الهيئة دنس اللباس، فقال له رجل: أيها الأمير لا تلتفت إلى هذا الفقير الحقير أما تنظر إلى الوسخ على ثيابه والدّرن على إهابه فقال الأمير: اترك الظن السيء الخبيث أما سمعت «رب أشعث أغبر» الحديث فعند ذلك قام وقال: أيها الأمير ذو القدر الرفيع الخطير شعر:

قل للذي بخلوّ الكف عيّرني ... قد ضلّ من يحمل الدنيا على كتفه
أنا الذي قد كسوت المجد منصبه ... وسرت من فوق سير البدر في شرفه
وإن بليت بخسران ومنقضة ... في المال لا غرو كَمْ جدَّيت في تلفه
وإن علاني مَنْ دوني فلا عجب ... لي إسوة بانحطاط البحر عن جيفه
وإن تقدمني عبد أخو سفه ... أو نال سبي مجبول على صلفه

(١) لم أجدها وكانت مشهورة في ذلك الوقت من مدن الهند كان يسكنها جماعة من المهاجرين الحضارم.

فـالعبـد يقـدم مـولاه إذا مشيـا    والكلب ينبـح من يـأويـه في كنفـه
والشمس لا يعتريها النقص إن حجبت    بـالسحب والبدر لم يـذمم على كلفـه
والحـر لم يفتخـر بـالمـال يجمعـه    بـل بالكـال وبـالموروث عن سلفـه

فلما فرع من إنشاد قصيدته، قام الوالي مبادراً إلى معانقته، واعتذر إليه مما تكلم به الرّجل عليه، ورفع محله، وأكرم نـزله، وأمـر بإدامـة مجلس الأنس إلى ثمانية أيام، وأن لا يمنع البواب، أحداً من الأنام، ولما كـان يوم الثـامن اتفق أن جدد الأمير عزمه ورأيه على أن يعقـد للرجل رأيـه، ويولّيـه على بعض القـرى، ويأمره بالعدل والرفق واشعال نار القرى، وأعطاه عشرة أفراس من الخيل الملاح وجمع ما يحتاج إليه من العدة والسلاح، وأمره أن يأخذ ما يـريده من المصـالح، وكانت هذه القرية على سيف البحر المـالح، ولمـا توجـه إليها جمـع ما لا يحصى، ولا يدرك مداه ولا يستقصي وكلما طلب الأمير إرسال الدارهم[1] اعتذر بخـوف السبيل، وعدم الرضى بإرسال القليل، وكلما وشى به أحد إلى الـوالي قال: دعوه فإنه ذو نظر عالي حتى تحقق الأمير بقدره وما يفعله من حيله ومكره فـأرسل إليـه جماعة من العبيد بالتّخويف والتّهديد فردّ إليه الجواب في الحال بأني لا أقـدر على إرسـال المال وإن أردتـه فابعث بجيش الآن ليـأتي به إليـك بالأمـان ولمـا أرسـل الجواب[2] أمر بـاستعداد الجـلاب، وطلّع جميع المـال إليها، ولمـا علم بوصـول الجيش ركب عليها وكتب على حائط البستان بقلم الرّيحان: أنا أبو الظفر الهندي فـرّقت الجيوش وحـدي[3] فارجعـوا إلى أميركم قبـل أن يحل البـلاء بصغـيركم وكبـيركم. فرجعـوا إلى أميرهم يخبـطون في مسيرهم لا يعلمـون ساروا عـاماً أم حقباً، وقالوا: أيها الأمـير إن الرّجـل قد اتخـذ في البحر سربـاً، فحلّ بـالأمير من الحزن ما حلّ بشيخ كنعان[4] وبقي يتلو ﴿**فصبر جميل والله المستعان**﴾.

---

(١) في (ح) القليل.

(٢) ساقط من (هـ).

(٣) ساقط من (هـ).

(٤) لم أقف عليه.

## المقامة الخامسة والثلاثون
### تعرف بالظفر أبادية

حدَّث الناصر بن فتاح قال: دخلت ظفرأباد في سنة أكل زروعها الجراد وحاصرها رجل يقال له الناعقة، وفي ذلك العام هدمت مدرستها الصَّاعقة والتمست بها بيتاً للسّكنى فوجدت بيوتها لفظاً بلا معنى، ولما عجزت عن إدراك المسكن، ولو كالنّقير نزلت بمسجدها الكبير، ورأيت شيخاً تارة ينشد بين يديه القصائد وتارة يدرس في علم العقائد، فقلت له كيف تجمع بين الطَّيب والخبيث، فقال أظنك ما سمعت بالحديث وهو ما ذكر الرَّاغب[1] وأورث به العين قره، وذلك قوله عليه السلام لما قيل له أشعر أم قران، فقال هذه مرة وهذه مرة[2]، ثم أقيمت الصَّلاة فقام الناس وصلى بهم ورأى شاباً لم يصل مع القوم بل جلس في آخرهم فقال له: يا دنس الطول والعرض ما منعك عن أداء الفرض، فقال الشّاب نحن معدن النبوة والرّسالة ومعدن[3] الفتوة والجلالة فما علينا بأس إذا لم نصلّ مع الناس، فقال: أيها الشاب الذي غرّه حسبه ونسبه[4]، وإنه لا حكم للسُّورة المنسوخة ولا حرمة للصُّورة الممسوخة، وقد أجمع أهل

---

(١) هو الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني من العلماء المتأدبين وفاته سنة ٥٠٢ (انظر الأعلام ٢/ ٢٥٥).

(٢) الحديث في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ٧٩ عن أبي البطريق الأسدي عن جده. وانظر إيضاح الدلالات للنابلسي ١١١ قال محققه: الحديث لم أعثر فيما رجعت إليه من كتب السنة.

(٣) في (ح) منبع.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة انظر كشف الخفا ١/ ٢٨٦.

المعقول على تـأديب من خالف الـرَّسول فقم بما فرض عليـك ودع الفضول ثم أنشد يقول شعر:

من لم يكن بـرسـول الله مقتـديـاً — فـرجله في صراط الحق مـا رسخت
ولـو يسير عـلى الأفـلاك متعـلا — قل ويح نفسك يا هـذا لقد مسخت
ابن الـرسـول إذا أخـطأ طـريقتـه — كـآيـة من كتـاب الله قـد نسخت

ثم إن الشاب بكى حتى بلَّ بدموعه حجره، وقـال جزى الله عنـا الشيخ خيراً وضاعف أجره، أمدد يدك أيها الشيـخ فإنّي عـزمت على المحـالفة في تـرك المخـالفة[1] فـاستغفر لي من الـذُّنوب السالِفة، فقـال له الشيـخ غفـر الله لـك وحاسبك حساباً يسيراً ولا شك في أنك من أهل بيت أذهب الله عنهم الـرّجس وطهّرهم تطهيراً، ثم إن الشيخ عاد إلى ما كان عليه، وجلس النَّاس حوله وبين يديه فقلت: أيّها الشّيخ هل لك من رواية أو دراية في كـون أهل الهنـد نزلت في حقهم سـورة أو آية فقـال إلا أنّا إذا تـأمّلنا فيـها قرأنـا رأينـا أنّهم أحقُّ بقـولـه تعـالى: «**ولقد ذرأنا**»[2] فقال له: لا زالت فوائدك بالألسُن تتلىٰ أخـبرني عن أرض الهند قد خمّست[3] أم لا فقال: لا أشك في عدم تخميس أرضهم وأموالهم، وإنما أشك في تخميس نسائهم ورجالهم، فقلت له: أيّها الشيـخ لا برحت مقلداً بفـرائدك[3] جيد الزّمن أخبرني أي النساء أحسن وأيّ تلك خصّ بالحسن، فقال: الناس في عشقهم متفـاوتون، ولكني رأيتهم عـلى الجـمال يتهـافتـون، فمن النّـاس من لا يفتش على الحسن بل يَهْوي بنات الأشراف، ومنهم من يبحث عنه ويقصده ولو في الأطـراف، ومنهم من يهـوى البيـاض المشرب بحمـرة، ومنهم من يميـل إلى السّـواد والخضرة ومنهم من يَهْوى الـزُّرقـة والسمـرة، ومنهم من يميـل إلى حسن الأخلاق ومنهم من يوافقه سوادُ الأحداق وأنت إن أردت الجمال الذي لا يوجـد

(١) ساقط من (هـ).
(٢) إشارة إلى أن أرض الهند فتحت عنـوة فهي من البلاد التي يؤخـذ منها الخمس من الغنيمـة (انظر الخراج للقرشي ٥٨).
(٣) في (هـ) الفؤاد.

مثله إلاَّ في الجنان فعليك بنساء زبيدو[1] كجرات[2] وإن أردت الخَصْر والنُّهود فعليك ببنات الهنود، وإن أردت عظم الكفل والسّاق فعليك ببنات العراق، وإن أردت القائمات بالفروض والسنن فعليك ببنات اليمن، وإن أردت الحيا والرِّضا بالملبس والمسكن فعليك بنساء الدّكن وإن أردت طيب المعاشرة فعليك بنساء القاهرة وإن أردت[3] الأنس مع طيب الكلام فعليك بنساء الشام، وإن أردت لذة المنكوح واستحلال الملبوس والمفروش فعليك بنساء الحبوش وإن أردت حسن السَّوالف وثقل الرّوادف وسواد الفرع وحسن الطبع وعدم العناد فعليك بنساء زيرآباد، وإن أردت التكليف[4] بالمحال والمجاز، فعليك بنساء الحجاز، وإن أردت الخدمة وضيق العين، وعدم الاشتراك، فعليك بنساء الأتراك، وإن أردت عدم الإيناس فعليك بنساء مراكش وفاس وإن أردت عدم الحيا مع الشقاق والعناد فعليك بنساء شاجهان آباد[5]، وإن أردت السَّلامة من جميع الآفات، فلا تتزوج امرأة ولو أنّها كاملة الصفات، فقبّلت يده ورجله، وشكرت إحسانه وفضله، وطلبت منه إجارة في بعض العلوم، فكتب علي قشر البصل أو الثوم، أما بعد: فأقول وأنا أبو الظفر السياح بأني أجزت الناصر بن فتاح، ثم قال سر واجعلني نصب عينك، وهذا فرق بيني وبينك.

(١) ساقط من (هـ).
(٢) في (ح) قزرات.
(٣) ساقط من (ح).
(٤) في (ح) التكلف.
(٥) في (هـ) جهان أباد.

## المقامة السادسة والثلاثون

تعرف بالكنبايتية

روى الناصر بن فتاح قال: حداني حادي الرشاد والهداية إلى البلد المعروف ببندركنباية[1] واجتمعت بمن فيها من الأخيار، ونزلت على أميرها الا عتبار[2] وأمرني أن أحضر الصّبوح والغبوق، وقت الغروب والشروق، وفي هذا الوقت الخاص لا يدخل عليه إلا الخواص، واتفق أن رأى رجلاً جالساً في آخر القوم، لم تره عينه قبل ذلك اليوم، فضاقت عليه الأنفاس، وسره أن يسأله بحضره الناس، فعرف الرجل إطلاع الأمير على حاله وعلمه أنه ليس من رجاله، فاستعد الجواب لسؤاله[3]، ثم إنّ الأمير خشي أن يحصل في المجلس ما لا يليق بجلاله، وأن يطّلع الرجل على المخفي من خِلاله، فقال: أيها الرجل أخبرني عن حقيقة حالك، وعن حِلك وارتحالك[4]، وما سبب مجيئك إلينا وقدومك علينا فقال: أيها الأمير أدام الله أنوارك وضاعف إقتدارك ليس لي لسان على بثّ الشكوى ولا جنان[5] على حمل ما بليت من البلوى، فقد قاسيت أهوالاً تؤلم وتنكي وعانَيْت أحوالاً تضحك وتبكي، وقد كنت في الوطن لا أعرف الهم ولا الحزن، فدخل العدوّ في بلادنا، فأخذ جميع ما نملُك دون أهلنا

---

(١) كنباية: هي قاعدة ولاية باسمها في أرض كجرات. انظر معجم الأمكنة ٤٤.

(٢) في (ح) اعتبار.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في (هـ) أشكالك.

(٥) في (هـ) فيان.

وأولادنـا، ثم أعقبه وبـاء أخذ الأولاد وفتّت الأكبـاد، ولي زوجـة أحبّهـا وتحبني وأودّها وتودّني ففرق بيني وبيْنها ضيق اليدين، وإشمات الأعداء وهمّ الذّين وقـد صرت مع رَغْيـي لتلك النعم مثل رعاء النعم، وبعْد الجلوس في أعـالي القصور كمثـل سكان القبـور، وبعـد لـذيـذ المطعـوم والملبـوس، وشرب الـراح وحث الكؤوس، طوافاً بالبلاد وجوالاً بالأغوار والأنجاد، ثم أنشد وهو منقطع الأكباد شعر:

عـوضـت عـن كـأس تـدور | حـبـبـاً فـي الـغـرا تـدور
بـيـنـا أمسّي بـلدة | والـصـبـح في أخـرى أمـور
فـكـأنمـا أنـا ريـشـة | لـعـبـت بهـا الـريـح الـدبـور
مـا حـيـلتي ضـاق الـفـضـا | عـن بعض مـا ضـم الـضـمـير
لام الـعـذول ومـا درى | إني عـلى الـبـلوى صـبـور
قـاسـيـت أهـوالاً بهـا | ذاب الجـلامـد[1] والـصـخـور
وبمـهـجـتي مـن لـو بـدا | خـسـفـت بـطلعـتـه الـبـدور
نـشـوان مـن خمـر الـصـبـا | قـد زان عـيـنـيـه الـفـتـور[2]
يحـكـيـه في لـفـتـاتـه | ونـفـوره الـظبـي الـنـفـور
يـا طـالمـا سـامـرتـه | ونـديمـنـا شـعـرى الـعـبـور
ورشـفـت شـهـد رضـابـه | وعـيـون أهـل الـعـذل عـور[3]

فقـال لـه الأمير: ينبغي لـك أن تنظر من بـلى مثلك وتتـأسي وإن تنسى محبوبتك أو تتناسى، فقال مخاطباً لها كأنها حـاضرة في ذهنه وتسمعـه بل ويسمـع كلا[4] بإذنه شعر

---

(١) في (ح) الجلاد.
(٢) في (ح) البدور.
(٣) ساقط من (هـ).
(٤) في (ح) كلامها.

ولي نفس حر لو بـذلت لها عـلى تنـاسيك مـا فـوق النهى مـا يناسب
ثـم رفـع رأسـه ونـظر إلى الأمـير وقـال وهـو متغـير لحـال شعـر
لم أنس من ودعتنا ورأيت ما أبدته من أحوالها المستورة
ورأيت نـرجس عينهـا يهـدي إلى ورد الخـدود لآلـيـاً مـنـثـورة

فقال: نحن نعوضك بها واحدة من بناتنا، ونشركك في نعمتنا مدة حياتنا، ونعطيك من المال ما يغنيك بعد مماتنا، فقال: هيهات أن تميل نفسي إلى سواها أو تطمئن دون أن أراها، فقال: قدّر أنها ماتت فيمن مات وفـاتت فيمن فات، فـلا تعرض نفسـك الآفـات، وتضـع عمـرك في النُزهـات فقـال: أيهـا الأمـير وصاحب الإحسان، من المستحيل سماع رجب قول شعبان، فلا تكن كالشبعان يفتّ للجيعـان، واعلم أني لا أميل إلى غـيرها، ولـو بلغني حلولها في قـبرهـا ثم أجرى دموعاً كالسيول وأنشد يقول شعر:

أهيل الحمى عن مهجة الصّب ما شطوا وإن حـال بـالإبعـاد مـا بيننـا شط
مقـامي وسـيري كله في هـوائهـم ومـا جال في فكـري سوى حبّهم قط
وهم في فؤادي أينما كنت قـد ثـووا وذكـرهم في مسمعي صاحبي قـرط
أبـا حوا دمي إن بحت يـومـاً بسرّهم وقـد عـدم المشروط إذ عـدم الشرط
ولم يخطر الإبعـاد يـومـاً بخـاطـري ولكن قضـاه من لـه الأمـر والضبط
فـإن رفعـوني فهـو منهم تـفضُـلاً وإن خفضـوني حظّي الخفض والحط
وإن نصبـوني للسهـام رضيت مـا لـه نصبـوني والـزمـان لـه قسط
وفي مـوقف التّوديـع لم أنس قـولهـا وقـد ساقـطت دُرًّا يـزان بـه السّمط
أتـتركـني ظـلماً بـغـير جـنـاية وتـطلب أرضاً دابهـا الجدب والقحط
وتـطلب مـا يفني وتـترك بـاقيـا فما هكذا الإنصـاف والعدل والقسط

فعند ذلك بكى الأمير رحمة لحـاله وأمـره أن يتأهّب لإرتحـاله وأعـطاه من المال ما حمله على عشرة جمال، وقـال له اذهب إلى زوجتـك واقرأهـا مني التحية ولا تنساني من الدّعاء بكرة وعشية، وخرجت لأجل توديعـه مع بعض الإخـوان

حتى انتهينا إلى آخر العمران، وقلت لهُ أخبرني باسمك الشريف، فقال: أبو الظفر الهندي فاكة الشتاء والخريف، ولما ركب دابته قال ارجعوا كفيتم الأذى **«الحمد لله الذي سخر لنا هذا»**.

## المقامة السابعة والثلاثون

وتعرف[1] باليرنكرية.

حدث الناصر بن فتاح قال: خلوت ذات ليلة مع جواري على سطح داري، وأمرت البَوَّاب أن لا يفتح لأحد[2] الباب، ولما طاب السَّمر وحمى الوتر، فإذا القارع يقرع بابي ويندب حجّابي، فقلت في نفسي أن هذا الوقت لا يطرق فيه الباب إلَّا أحد من الأحباب والأصحاب، وخرجت بنفسي، وقلت: من هذا فقال غريب رمته الغربة في الأذى، وأصاب عينه منها القذي، وهو طالب للقرى والغذا، فأخذته إلى سطح البيت، وقدّمت إليه طعاماً وأكلت معه مع إنّي قد تعشيت، ثم ضربت بيننا وبين الجوار ستارة، وأمرتهن بضرب العود بعد أن يحكمن أوتاره، فلما سمع الغنا ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: هذه اللّذة[3] التي سلبتها الأولى من الأخرى، ثم أخذ العود وغنًّى بما كاد أن تحييُّه لحسن غنائه الرُّبُوع والمغاني، وأربي على ما ذكر في كتاب الأغاني، وأخذ بالمجامع حتى ظننت رجعة ابن جامع[4]، ثم سكت فاستعدته، فقال: أبرد الغنا ما خرج من تحت السبال، ومن أراد الظفر بالأماني فليسمع من الغواني، وإن شارك السّمع والبصر، فذلك أقرب لحصول الوطر[5]، فأمرت الجوار

---

(١) ساقط من (هـ).

(٢) في (هـ) لأحدن الباب.

(٣) ساقط من (هـ).

(٤) ابن جامع هو اسماعيل بن جامع من أكابر المعنيين وكان من أحفظ الناس للقرآن وأعبدهم كثير الصلاة توفي سنة ١٩٢ (الأعلام ١/ ٢١١).

(٥) في (هـ) العطر.

بضرب الأوتار، بعد رَفْع الأستار، فحصل للرّجل عند رؤيتهن وسماع ضرب العود من الوجد ما كاد يخرجه إلى العدم من الوجود، ولما أفاق قام وشمر ذيله للرّحيل واستقبل بوجهه إلى السبيل، وقال أيها الأخ ليس لي قدرة على مكافأتك إلا بالدعاء ولولا أن ليس للإنسان إلاّ ما سعى ما فارقتك ساعة وأقمت عندك إلى الساعة، فعزمت إلى مرافقته لأن نفسي لم تصبر على مفارقته، وقلت له: إلى أين منتهى السَّفر، فقال: إلى بلده برنكر[١] فقلت له وما الذي سمعتَ به فيها وأي مرام في نواحيها، فقال: من الحسان ما يذهل حسنهن بالجنان وفيها من البنات ما يلحقن الأحياء بالأموات، فقلت: وكيف تدرك الأبصار من تضرب دونه الكلل[٢] والأستار، فقال: لا تخف ففي البلد[٣] حوض لا بد لكل واحدة أن تغتسل فيه وتخوض، وفي حال الإغتسال ترى ما لم يخطر على البال، فقلت له: أنا أمشي في ركابك وأكون من خُدّامك وأصحابك، فقال: نعم الصَّاحب والرّفيق والمعين على الطريق، فسرنا حتى نزلنا في أطرافها ورأينا[٥] بعض ما سمعنا من أوصافها، ثم قال إن أردت أن تبلغ ما تشتهيه فاجلس على الحوض ولا تجلس على المكان الذي أنا فيه، فجلست أنا في ناحية، وجلس في ناحية أخرى، وشاهدت ما هو من العافية أهنى وأمرأ وبقينا مدة نجتمع باللَّيل ونتفرق بالنَّهار ونتنزّه الأبصار فيما يخجل الشموس والأقمار، ثم إني رأيت ذات ليلة وقد غيَّر هيئته وحلق لحيته، فقلت له من غيّر هيئتك وحلق لحيتك، فقال: الذي خلق غيّر وخلق فاتّهمته في شأنه، وصممت على رؤيته من غير إطلاعه في مكانه، فلما ذهبت رأيته قد شد الزنار على خصره، ووضع سُبحة الوثنية في نحره، وقد اجتمع إليه نساء وهو يكثر معهن المحادثة والمكالمة، ويهذرم بلسان البراهمة

---

(١) في (ح) برنقر.
(٢) جمع كله: وهي الستر الرقيق والغشا يخاط كالبيت ليتوقى منه البعوض.
(٣) (هـ) البلد.
(٤) (هـ) فلا بد.
(٥) في (ح) رأيت.

وقد ربط على رأسه منديلاً أصفر، وجعل يضع في جباههن الأرز المصبوغ بالأحمر ويقول لكل واحدة رام رام لأجل حصول المرام، ولما رأيتُ ما رأيت رجعت من حيث أتيت، ولما جاء وقت اللّيل قلت له ما هذا الفعل لك الويل، فقال: بكّر معي إلى ذلك المكان لترى ما يسّر الإخوان ويبقى أثره إلى مرّ الزّمان، فبكرت في صحبته لأرى[1] ما يصدر من مكره وحيلته ولما اجتمع إليه النساء قال لهن: إني هذا الدّين قبيح لمن يموت كالمتشبث به كان لمتشبث ببيت العنكبوت، ولا أرى أخلص للإنسان من أتباعه للإسلام والإيمان، ألا وإني قد عزمت على ترك هذا الدِّين القبيح والرّجوع إلى الإسلام والدين الصحيح، ومن أراد النّجاة والسّعادة فلينطق بكلمتي الشهادة، فلم يبق أحد حوله إلاّ قالها وفاز بالسعادة ونالها، ثم علّمهن ما يحتجن إليه ويعول في الدِّين عليه، وجاء رجل وقال جزيت من خالق البشر، خيراً يا أبا الظفر، ثم أخذه وذهب وصار وجوده أعز من الذهب وتعجّب النّاس من قبيح أفعاله وحسن مآثره، وذكرت قوله عليه السلام أن الله ليؤيد هذا الدين إلى آخره[2].

---

(١) في (هـ) ألا أدري.

(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم. أن الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر أخرجه الطبراني في الكبير عن عمرو بن النعمان بن مقرن.

## المقامة الثامنة والثلاثون

### تعرف بالرسول نكرية

روى الناصر بن فتاح قال: سايرت شيخاً من العسكر إلى بلدة رسول نكر[1]، ولما نزلنا فيها ودرنا في نواحيها رأينا أهلها قد افترقوا فرقتين، وَجَعلوا البلد محلتين، وإحْدى الفرقتين سنية والأخرى إمامية، فاتفق أنّ الشيخ أضرت به الغربة وسئم من الغربة فطلبت رجلًا من أهل البلاد وقلت له أن هذا الرّجل من الأمجاد فاخطب لهُ امرأةً خفيفة المؤنة عند أناس يحبّهم ويحبونه، فقال إن أهل[2] السنة لا يزوّجون الغريب ولو أنّه الأديب الأريب وإن أردت القبول وحسن المتاع فاقصد الإمامية للزّواج والإستمتاع، فقام[3] الشّيخ إلى كبير الاماميةوحيّا بأحسن تحية، وقال له يا إمام الشيعة وركن الشريعة، إني أريد المتعة وأخشى وأن يقال لي أنت من أهل البدعة فقال: إن أردت ذلك فاتبع الإمامية وانخرط فيها انخرطوا وإياك أن تخلّ بما اشترطوا واحذر للمتعة ذات الإعلام فإنها لا تجوز عند العلماء الأعلام، اللهُمَّ إلاَّ في قول ضعيف للرضى وهو عندنا غير مرضي، فقال الشّيخ إذا علمت التّقية من نفسي آخذها وأصير حتى تنقضي العدة، وأسلك من الباب الثاني وأتلذذ بما بين اليتها في هذه المدة فقال:وهذا لا يجوز عندنا(   ) في بعض الرّوايات وجزم بمنعه جمع من الثقات.

---

(١) من بلدان الهند لم أجدها.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) في (هـ) فطال.

فقـال الشيخ: لعلك تجـد في إتيان المملوك من الـولدان روايـة منقولـة فقال: لـو وجـدت فهي عند أئمتنـا[1] غير مقبـولة فقـال الشيخ لقـد عجزت عن الحيـل، ففكّر لي في الخروج، وإلاّ أعرني من بيتك بعض الفروج فقال أما إعارة[2] الفرج فهي جائزة عندنا وإن أردت ذلك فخذ جـارية وردّهـا بعد حصـول المنى، فقام وأخـذ جاريـة وعيني تنظر وهي عـلى فعله جاريـة، ثم قال: اكتب بـأن الجـاريـة عنـدي بطريق العـارية، وإنـك ستردّهـا بعد قضـاء الأمنية وتـوكل عـلى ربـك وصحّح النية، فكتب أقول: وأنا أقل البشر الهندي أبو الظفر بأني استعرت جارية هـذا الإمـام للاستمتاع بفَرْجها وردها بعد حصـول المرام وفـارقته في ذلـك الوقت والحين واللّسان يتلو ﴿وأملي لهم أن كيدي متين﴾[3].

---

(١) في (هـ) عند المتأخرين.

(٢) في (ح) عارية.

(٣) الآية ١٨٣ سورة الأعراف.

تعرف بالبردجية.

حدّث الناصر بن فتاح قال اتفق أن ركبت على برذون أعرج وقصدت بيعه في بَرْدج ولما وصلتَ إلى الفرضة[2] رأيت الناس منفضة وقد اجتمع الرِّجال والنساء والصبيان من كل ناحية ومكان فرمت الكشف عن أمرهم والإطلاع على حلوهم ومرهم، فقدمت إلى الكنَّاس، وقلتُ له:[3] ما سبب اجتماع الناس، فقال: زواج رجل من العلماء الكبار على بنت رئيس التجار وقد نادى المنادي والنادب، لحضور المآدب، فمشيت مع القوم إلى دار التاجر، وكان ذلك الوقت لخمسٍ خلت من شهري ناجر[4]، فأجلسنا على فرش الحرير والدِّيباج، وقدَّم لنا أنواعَ الأطعمة المطبوخة بلحم الغنم والدّجاج، وسألت عن الزوج عندما ازدحمت على الطّعام المناكب، فقالوا هو لأجل وقت العقد يرصد الكواكب، ولم نلبث إذ أقبل معتدل القامة كبير الهامة وهو يصفق باليدين، ويقول هذا وقت العقد ففيه قران السَّعدين، فإني قد رأيت المشتري في منزلة الحوت والزهرة جاءت لزيارته، وكأنها لحمرتها الياقوت، فتقدَّم إليه القاضي والولي، وشهد من بعَد منهم ومن يلي، وجملة المهر خمسون قنطاراً من الدّخان، ومثلها من ريش

---

(١) قال في تاج العروس ٨/٢ بروج كجوهر مدينة عظيمة في الهند.

(٢) في (هـ) أرضه.

(٣) ساقط من (هـ).

(٤) شهرناجر: شهر رجب أو صفر وكل شهر من شهور الصيف.

البعـوض ومثلها من الـذيّان، ثم إني قلت للبـوّاب أو تـأذن[1] لي أن أبيت عنـد الباب، فإني رجـل غريب، وليس لي بـالبلد محبّ ولا حبيب، فأذن لي فسمعتُ الرجل يقول بعد أن دخل بأهله وطلب مـا يتزوج المـتزوج لأجله: لو علمتُ أن ألقى بالزّواج همًّا، وبؤساً لقطعت اليتي[2] بالمـوسى، والزوجـة تقول: إليـك عني فلستُ تبلغ مـا تروم منيٍ إلاّ إذا أخـبرتني هيئات الجـماع وأي هيئـة وقـع عليهـا الإجمـاع وهو يقول: بنفس واجدة لا أعلم لـه إلاّ هيئة واحـدة، فقالت له: حتى الحمير تعلم أن له هيئـات عددهـا كثير ومـا ظلمني أحد غـير أبي إذ ضيع نسبي وحسبي وزوّجني عـلى رجل سفيـه يتحلى بمـا ليس فيه ولـولا أنك رجـل غريب لفعلت بك ما يحوجك إلى الـطبيب ولم يزل يقبـل شفتيها ويعضض(  ) خـدَّيها ويدغدغ ثَدْيها حتى تغيرت هيئة عينيها فعند ذلك رمت نفسها عليـه وجاءت بمـا دعاها إليه فتعزّز وقال: لا ومن أحيا وأمات، لا أفعل [الآ] إذا أخـبرتني بعدد الهيئـات فقالت: إن شرح ذلك يطول، فاقنع بالإختصار، واسمع ما أقول هي أربعـون واللّبـاب في أربع فاحفظهن وإيـاك في غيرهن تـطمع الأولى [وهي المشتهـرة بين الأنام والمحبوبة بين الخـاص والعام وذلـك] أن يعلو الرجـل المرة بعـد الملاعبـة ومص الشفتـين وتقبيل الخـدين ودغدغـة الثـديـين، والثـانيـة وهي دون الأولى وبالعاجزين أحرى وأولى أن ترقد المـرأة على اليمين ويرقد هو على الشمال وتضع رجليها عليها وتميل معه حيث مال والثالثة أن تنبطح على وجهها ويأتيها الـرّجل من خلفها في فرجها والرابعة وهي أردى الخصال واقبحهن وأضرّ بـالرِّجـال وهي أن تعلو المرأة الرجل وهو راقد على ظهره وليس له اختيار في أمره، وربمـا يتولّـد من هذه الداء العضال الذي لا دواء له عند الحكماء العقال، ثم زال من الصدر الـوحر، وطـاب بينهما السّمـر إلى وقت السحر، ولمـا أراد أن يخـرج بعـد قضـاء الوطر، قالت له متى أحباب قلبي عائدون فقال: الآن **«فإن عدنا فإنـا ظالمـون»** وخفت أن يطّلعوا على حالي فخـرجت أتعثّر في أذيـالي، ثم بعد أيّـام ذهبت إلى

---

(١) في (هـ) أذن.

(٢) في (هـ) التي.

داره[1] وسألتُ عن أخباره وأخبارهم فقالوا من ليلة الزواج لم نطلع له على عين ولا أثر غير أنا علمنا أنّ إسمه أبو الظفر الهندي المشتهر، وقد أصبنا بفراقه مصيبة عميا دهما وليتنا علمنا اتخذ «نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء».

(١) ساقط من (ح).

تعرف بالبريلية.

حدّث[1] الناصر بن فتاح قال: سكرت ذات ليلة في داري من غير اختياري، وصرت لا أعرف دبري من قبلي فليست نعلي في رأسي ووضعت في رجلي منديلي، وخرجت هائماً ولم أصبح إلا وأنا في بلدة بريلي، ولما دخلناها لم أر فيها خيراً إلاّ بلَايا وما زلت أسلي نفسي بسماع الغنا ورؤية الملاهي في دار حاكمها المسمى بعطاء[2] إلهي، واتفق أن دخل عليه رجل غريب ذو ثوب قشيب فاستنهضه لتفقد أحواله فلم يلتفت إليه كأنه ضرب أوتاداً في أذياله وظن الرجل أن هذا الحاكم من الأخيار، الذين تنهضم الأشعار فأنشد في تجاهه رغبة في ماله وجاهه[3] شعر.

أصبحت لا أرتجي إلا إله ... لما قد نابني صروف الدّهر في الزمن
ورغبتي في عطاء الله كافلة ... بما أروم من الإحسان والمنن

فأجازه شعيراً على شعره، ولم يكترث بأمره، فعمدا إلى كبير الرعية وبيّت معه النية على أن يعزما إلى الوزير ويشيا بالأمير بأنه يقبل الرّشا، ويفعل برأيه ما يشاء ويأخذ الجزية من المسلم والذمي، والحب للشي يعمى ويصمي، ولم تطلع

(١) في (ح) روى.
(٢) في (ح) بعطاء الله.
(٣) ساقط من (هـ).

عليهما رايات الصباح إلّا وقد قطعوا البطاح[1] وبينما الأمير مشغول بجده وهزله إذ أتى البريد بعزله وصودر مصادرة ذهب فيها جميع ماله وسيم بسببها من أهله وعياله وكلما انقضت قضيّة طولب بقرينتها والزّمان يتلو عليه وما نُريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وصار حاله كحال المَوْتى ولم يعلم من أين يؤتى، فبعث جاسوساً يتجسس عن هذه المصائب من أين منشأها وإلى أين منتهاها فذهب الجاسوس وانخرط في سلك أسباب الشرط فسمعهم يقولون قد أصطحب أبو الظفر الهندي بكاتب الوزير الهندي، وفعلا بالأمير الفلاني ما جعله مضغة للماضغ، وعرضا للشواني، فجاء الجاسوس وأخبره بما سمع من الأخبار وقال له ينبغي أن تربط لسان أبو الظفر الهندي بألف دينار لا يوقعك في الطّويل العريض، بعد تقريش حرمتك[2] وعرضك بمقراض[3] القريض[4] فقال) أجعل بينك وبينه رابطة، حتى تكون في الواسطة، فقال الجاسوس: إعطني الدراهم أنا آتي به إلى مكانك من غير إطلاع من جيرانك، فأعطاه وذهب بها إليه وأكّد في المجيء عليه، فوعده بالمجيء إذ وهدت الأصوات، وخلت الطُّرقات، فبات الأمير يرصد الباب مع خُدّامه إلى أن هبّ[5] العصفور من منامه، فقال: لا شك أن خلف الوعد من خلق الوغد، فقال له رجل: إني رأيت عندما هجع السُّمار رجل يكتب بذُبَاب سيفه على باب الدار، فقام الأمير لينظر الكتاب فرأى مكتوباً على الباب شعر:

أتيت إلى الأبواب طوعاً ورغبة　　فألفيتها من دون قصدي مغلّقة
فعلقت أبياتاً عليها لأنني　　رجوت بأن تُعْزي إليَّ معلقة

فقال: ما أحسن ما حرَّره ووشّحه مع التُّورية المرَّشحة، فقال له بعض

---

(١) في (هـ) النكاح.
(٢) ساقط من (ح).
(٣) في (ح) بمراريض.
(٤) ساقط من (ح).
(٥) في (هـ) انتهب.

أصحابه: كيف علمت التورية في هذين، ولم تنبه لما سطّره من المجردة في الأولين، فقال: أن للفهم أوقات، وقد فات ما فات فاطلبوا لي الرجل من أي مكان إلاّ أن دخل في خبر كان، فرجع إليه الدُّليل بعد التفتيش العريض والطّويل، وقال فتّشنا عليه بالإبر[1]. ولم نقف له على خبر فقال الأمير ليتني متُّ ويا حسرتي على ما فرطتُ.

(١) في (هـ) الأمر.

## المقامة الحادية والأربعون

تعرف بالمترية.

حدَّث الناصر بن فتاح قال: دخلت إلى مَتره في أيام الفترة ونزلت بمسجد في السوق مع جماعة من أرْباب الدلوق[1] وعجزت عن تحصيل القوت حتى خشيت أن أموت، فعزمت على الإنصراف منها والخروج عنها، فقام رجل من الجماعة قد أتلفته المجاعة، وقال: إن ساعدتني عشناها عيشة[2] راضية تنسي بها الأيام الماضية، فقلت له: ومن لي بذلك والمخرج[3] من هذه المهالك، فقام وقمتُ معه ولم أزل أتبعه حتى جاء إلى ما غزير راكد في الغدير، واصطاد سلحفاة[4] ومسكها بيمناه، ولما صار[5] وقت الليل وضع[6] على ظهرها شمعة وربطها بخيط، وجاء إلى دار بعض تجار البلاد أرسلها فيها من وراء الخيط وبقي ينظر من ثقب في الباب حتى رأى ما في الدار من المتاع والثياب ثم جذبها وأعطانيها، وقال: اجلس حتى آتيك، وتبلغ النَّفس أمانيها، ودخل الدار وأخذ ما رأت عيناه وجاء به، وقال قد بلغ القلب ما يتمناه، ولم نزل نصرف من ذلك المتاع سنة كاملة، وليس لنا بالبلد سائمة ولا عاملة ثم لما خلت

---

(١) في (ح) الدفوف والدلوق جمع دلق وهي جبة من الصّوف يلبسها الصوفية واللفظة من الفارسي.

(٢) في (هـ) عشنا بهتها.

(٣) في (ح) الحروج.

(٤) في (ح) سلحاه.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) ساقط من (هـ).

الراحة، وخاف عدم الرَّاحة، خرج وخرجت في أثره ولم أطلع على حقيقة أمره، ولما سرنا ثلاثة منازل رأينا أميراً في أثناء[1] الدّرب نازل ورأى الرجل صندوقاً طوله ثلاثة أذرع أو يزيد، ففيه جملة من الذهب الأحمر وقد وكّل به بعض العَبيد، فقال هل لك قدرة على أخذ ما في الصّندوق، وترجع به إلى مسجد السوق، فقلت له لو قدرتُ على هذه الأفعال ما صرتُ خائب الآمال، فقال اذهب إلى الموضع الفلاني، ولا تبرح حتى تراني، ففارقته بعد أن غسلت منه اليَدَين وظننت إنما جلبه لذلك الحين، ولما كان يوم الثالث من اليوم الذي فارقني فيه أقبل ينادي بملأ فيه وعلى ظهره من الأكياس ما يعجز عن حمله القوي من الناس، فتعجبت من حاله وغريب فعاله، وقلت: أخبرني كيف أخذت المال خدعت الرِّجال، فقال: دخلت العسكر وقت[2] المغربان[3] وعيَّنت على الصندوق والمكان، ثم رقدت في آخر القوم، حتى غلب عليهم النَّوم، وبقيت أتقلّب بطناً وظهراً حتى قطعت تلك المسافة الغبراء ووصلتُ إلى الصّندوق وحفرت[4] بقدر طوله وغمرته بالتراب من حوله، ورجعت إلى مكاني من غير أن يطلع[5] عليّ أحد ويراني، ولما أصبح الصّبح أخبروا الأمير بأمر الصّندوق وأنهم فقدوه، وفتشوا عليه وما وجدوه، فسار بجمعه وجموعه، وهو يسقي الأرض بدموعه، ولما كان يوم الثاني ذهبت لإصلاح شأني، وأخرجت الصّندوق وكسرته وأخذت ما فيه بعد أن ضبطته وعددته، فقلت له: وأين كنت حال اشتعال النَّار، فقال: أتفرج على رأس شجر من الأشجار ثم سرنا بمالنا وعسجدنا قاصدين إلى مسجدنا وبقينا مدّة ننفق من المال مبلّغين[6] جميع الآمال

---

(١) في (هـ) انتهاء.
(٢) ساقط من (هـ).
(٣) في (ح) المغيربان والمغربان المغرب والعشاء.
(٤) ساقط من (هـ).
(٥) ساقط من (ح).
(٦) ساقط من (هـ).

ثم إنه رمى لي بدينار وقال اذهب واشتر به من القثاء والخيار، ولما عدت قـال لي أهل المسجد: أنه ذهب وأمر لك بهذه الدّنانـير المختومـة وكتب لك هـذه الرقعـة المختومة، ولما فتحتها وجدت فيها: قد علمتك جهـدي وأنا أبـو الظفـر الهندي، وإياك أن تؤذي ضعيفاً أو عالماً وإذا بليت بظـالـم كن ظالمـاً وانصر أخاك ظـالماً أو مـظلوماً وادخـل الأنس على من رأيتـه مهمومـاً، فعنـد ذلـك بكيت بكـاء أضرّ بالبصر، وكل شيء بقضاء وقدر.

## المقامة الثانية والأربعون

تعرف بالرَّازفورية(١).

روى الناصر بن فتاح قال: سافرت مع جماعة من منقلور إلى جزيرة رازفور ونزلت في دار رجلٍ من أهل دابول يبيع التانبول(٢) فتوسلت(٣) بالمنشيء أن يوصلني إلى الحبشي، ولما وصلت إليه أمرني بالجلوس، وأعطاني جملة من الفلوس، وقبل ببلوغ آمالي بعد(٤) العلم بأحوالي، ولما آن وقت العِشا قدم لنا العَشاء والتفتَ الحبشي إلى رجل يرى عليه أثر السفر، وقال له: كيف أمسيت يا أبا الظفر فقال: دامت نعمك تتوالى أمسيت لا كما يرضى الله تعالى ولا كما يرضى الشيطان يا فخر الأقران ولا كما أرضى أنا بلغك الله المني، فقال: ولم، فقال: لأن الله يرضى أن أكون طائعاً ولست كذلك، والشيطان يرضى أن أكون كافراً ولست ممّن(٥) هنالك، وأنا أرضى أن أكون مرزوقاً بلا كد ولا نكد، وإني قد وصلت لأجل الرزق إلى كل مدينة وبلد، فقال: أخبرني بأعجب ما رأيت في البلاد من أحوال العباد فقال: أعجب(٦) ما رأيت بدت لي امرأة تصلي، ومن

(١) في (هـ) الراجبوتية، وفي المنجد ٣٠١ «راجبوتانة مقاطعة في شمال غربي الهند هي جزء من ولاية راجهستان.

(٢) التانبول: مادة ذكرها الملك المظفر في معتمده ٤٦ قال هو من اليقطين وطعم ورقه طعم القرنفل وريحه طيبة.

(٤) في (ح) فتوسل.

(٥) في (هـ) بعدم.

(٦) في (هـ) مما.

(٧) ساقط من (ح).

عجائب الزمان امرأة بـلاهـور تقـرأ القرآن[1]، ورأيت بـالدكن رجلين اختصـما بغير حق، وصار بينهما مناقشة ورأيت ببيجافور امرأة متظاهرة بالفاحشة، ورأيت رجـلاً من أهـل تتـه يمشي في الفلاة[3]، وتـرك الصَّـلاة، ورأيت امـرأة طـائعـة لزوجها بشاهجهان أباد ورأيت بها رجلين اصـطحبا لله ولم يحصـل بينهما فسـاد، ورأيت بـالهند رجـلاً يحبّ العربَ ويـطعم الأضيـاف، ورجـل يميـل إلى العـدل والإنصاف وسائلاً يسأل باسم أبي بكر وعمر، وفقيراً يمـدح من يأمـر بالمعـروف وينهي عن المنكـر، ورجلاً قـد وَضَع وراء أذنه السواك، وآخـر في حال دخـوله الصلاة يستاك، ورجلاً لا يعتقد تأثير الكـواكب والأفلاك، وامـرأة تعتقد تحـريم الزنا، وشاباً يعتقد حرمـة الخمر والنـطق بالخنـا، وعجوزاً تعتقـد وجوب صيـام رمضان، وشابة تعتقد حرمة النـظر إلى الشبان، وشيخـاً يقول: تعس من أخـذ مـال الغير بغـير حق، وآخر يقـول خاب من كـذب وأفلح من صـدق، ورأيت بأرض الرازبوت بقرة تذبح، ورأيت بها رجلاً دخل السوق وهلّل، وصبح فقال له الحبشي: لأنت عندي من أخص الأصحـاب إذ أخبرتني بـأعجب العجائب، وكنت أحسب إنمـا ذكرت مفقـوداً وما ظننت أنـه يكون بهـذه الأماكن مـوجـوداً فعـظني بأحسن مـوعظة واغتنم ثـوابَ من رأى نائم الغفلة وأيقـظه، فقال لـه: إحذر صروف القضا واعتـبر بمن مضى، وكفى بالمـوت واعظاً، ومن نـوم الغفلة موقظاً، فقال: زدني فإن قولك كالأشناف بأذني، فقال لا تذكر حسنة ماضية ولا نَفْسـاً راحت عنك راضيـة، وتذكـر سيئة سـالفة، وفعـلاً فيه شـائبة المخـالفة، واستعد لليوم الذي تفارق فيه هذا الملك وهـذا الجمع العـظيم، وارتقب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

---

(١) في (هـ) لا تقرأ.

(٢) في (هـ) الغلاظ.

## المقامة الثالثة والأربعون

تعرف بالبرارية

حدث النَّاصر بن فتاح قال: دخلت إلى برار في يوم مات فيه كبير الكفار، ولذلك الكافر امرأة فائقة الجمال عديمة الشكل والمثال، ولأجل محبّتها لبعلها والفخر عند أترابها وأهلها عزمت على أن تحرق نفسها معه بالنَّار لتكسب ذلك الإفتخار، لأن من عادتهم القبيحة أن المرأة إذا أحرقت نفسها مع زوجها تموت على الملّة الصحيحة، ويبْنون على موضع الحريق قبَّة عالية ويضمخونها بالطِّيب والغالية[1]، وإذا همّوا بإحراقها وعزموا على فراقها بنوا من الحَطَب قبّة عظيمة، وأحاطوا بها لئلاَّ تخاف المرأة وتفقد العزيمة، ثم أقبلت المرأة في حليتها وحللها، بعد وداع أقربائها وأهلها وتجلس في وسط الحطب وتضع الميت على رجلها والنَّاس ينظرون إليها ويتفرجون عليها، وتضرم النار في الحطب من الأربعة الجوانب والخلق ما بين مفكر وضاحك ونادب، وكنت حاضراً فيمن حضر من البدو، ولما أقبلت تروم المكان المعروف، والموضع الموصوف، أقبل رجل على جواد محجّل الأطراف كامل الأوصاف، وأخذ البنت ووضعها على قربوسه[2] وأشار إلى الجواد بقوسه فطار به حتى كاد يسبق الرِّياح، وطرده القوم وما كان حظّهم إلاَّ البكاء والصِّياح، ورجعوا خائبين بعد التعب والإعياء وهم أموات إلا أنهم في صورة الأحياء، ورجعوا إلى الميت وحريقه بعد أن همّت

---

(١) الغالية: أخلاط من الطيب.

(٢) في (ح) كربوسه: والقربوس حنو السَّرج أي قسمه المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره.

السّباع بتمزيقه، وسافرت إلى جهة الشرق، وقلبي إذا ذكر هذه الواقعة يخفق كالبرق، ولم أزل سابحاً في الرِّمال والفيافي والجبال، ومكثت أثنا عشر عاماً وما عرفت من الفكر مناماً، ثم رأيت في بعض الأيّام أناساً منهزمين وإلى قرية قريب منّا قاصدين فسألت عن أمرهم قيل: أن العدو في أثرهم، فما وسعني إلاّ أن أتبعهم وأدخل القرية معهم[1] ولما دخلت من الباب رأيت رجلاً خلِق الثّياب، ومعه خمسة أولاد واحد على عاتقه، والثاني على كتفه، والثالث بيمينه، والرّابع بشماله، والخامس يمشي من خلفه، وهو يناديني باسمي وكنيتي كأنه من أهل معرفتي، فقلت: مَن المنادي بهذا النادي، فقال: أقل البشر صاحبك أبو الظّفر فقلت: زِدني إيضاحاً وبياناً زادك الله إيقاناً، فقال: أنسيت لما أخذت البنت ببرار، ولم يدرك القوم منّي سوى الغبار، فقلت أصدقني الخبر يا أبا الظّفر فقال: بالله إن أولادي الخمسة منها، وقد روى الكبير شِعْري عنها وهي الآن محصّنة لفرجي والمتحفظة على خرجي والمكنّسه لداري، والحافظة لجواري والطابخة لطعامي والسّامعة لكلامي، فقلت له: وحق[2] من برأيها أشتهى أن أراها فأخذني إلى البيت وقدَّم لي طعاماً مادوماً بالزيت، ثم قال: أخرجي ياست النساء وسلّمي على أخيك فإنه رغب في أن يراك ويلاقيك فأقبلت بقد كصعدة على كثيب كخوط بان طيب، ووجه كالبدر ليلة عشر وعينين قد زانها الدّعج والحور، وثغر جمع بين الشهد والجوهر الفرد، وخدّ جمع بين المسك والورد، فقلت لها: كيف حالك يا بنت الكرام، فقالت: الحمد لله الذي أعزّني بالإسلام، ونجاني من النّار وخلّصني من يد الكفار، وأخرجني من ظلمة الشرك إلى نور الإيمان وشرفني بالصلاة وقراءة القرآن، ثم أقمت عندهم أيّاماً معدودة، وساعات محدودة، وهم يخدموني خدمة الكريم لضيفانه، ويتعهّدونني تعهد الشّريف لجيرانه، ويعظمونني تعظيم العاقل لأكبر إخوانه، ثم فارقتهم وأنا لا

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من (هـ).

أشك في كون الحق سبحانه يخرج الطيب من الخبيث، وأتذكر قوله عليه السلام: «وإن منكم من يعمل بعمل أهل النار»[1] الحديث.

(١) من قوله صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً ويؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة متفق عليه من رواية ابن مسعود مرفوعاً.

تعرف بالناقبية.

حدث النّاصر بن فتاح قال: تحركت نفسي الساكنة إلى التّفرج على ناقبه وبقيتُ أُقدّم في السّفر إليها رجلاً وأؤخر أخرى وأقول في نفسي لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً وهي تقول لعل في السفر: لك[1] بعد العسر يسرا ثم [بعد] تعريض وتطويل وكلام عريض وطويل، ركبت بعد الاستخارة متن السبيل فكان بيني وبين البلد المذكور من البعد ألف ميل، وقاسيت في سفري ما تكره النفوس حتى صار بين جفني والنَّوم حرب كحرب البسوس، وكدتُ أمشي إلى وراء وأرجع القهقرا، ثم وطنت نفسي على ركوب الأهوال وقطع الرمال والصَّبر على الحزن والسهل، وقلت لها دون اجتناء النحل ما جنت النحل ثم مررت بقرية ذات أشجار وأثمار وحيضان وأنهار فأقمت بها عشرة أيام، على عيش أهنى من النّوم في أجفان النِّيام واتفق في يوم من هذه الأيام [أن] جزت بدار بعض الحكام فرأيت بها ما يزيل الهم والعنا من الرقص والغِنا فوقفت لمحة فسارقتني خود بالنظر فإذا وجهها أنور من فلقة[2] القمر فأخذت بمجامع لبّي، وحلّ حبُّها بسويداء قلبي فجلست بنفس مشتاقة عانية قلت لعلّي أنظر إليها نظرة ثانية، ثم إن رجلاً أتى إلى الحاكم بخبر من أطراف البلد، ونواحي البر، وقال: إن بالموضع الفلاني رجلاً جريح وهو من شدة الألم يبكي ويصيح، فرقَّ الحاكم

(١) ساقط من (هـ).

(٢) ساقط من (هـ).

رحمة له وتلهفاً، وقال: اذهبوا به إلى دار الشفاء وإذا برى من السّقام إئتوني به بعد أن تدخلوه الحمّام، لعلّي أعلم سبب جراحه، وما الذي لقيه في غدوه ورواحه، فحللت حبوتي، وقلت: أقيم ههنا لعلي أسمع هذا الأخبار المطلوبة، وأتمتّع بالنّظر إلى تلك المحبوبة، ثم بعد مضي شهر من الزّمان جاء خبر بأنّه دخل الحمام، وسيأتي الآن فجاء وسلم فقال له الحاكم أهلاً وسهلاً ولما استنطقه رآه للإحسان أهلاً فأعطاه الهبات الوافرة، وخلع عليه الخلع الفاخرة، ثم سأله عن سبب تجريحه وضربه وتبريحه، فقال: أيها الأمير ما مضى لا يعاد، ولا تصدر المصائب إلاّ على الأمجاد، فقال: لا بد من الإطلاع على حقيقة أمرك وسبب سقامك وضمرك، فقال: أيها الأمير بشرط أن لا تعاقب من أساء إليّ وتعدّى عليّ فإني كمن جَذَع ما رن[1] أنفه يكفه وبحث على حتفه بظلعه، فقال: العفو بيدك والأمر إليك، وما مرادي إلاّ الإطلاع بما جرى عليك، فقال: إعلم أيها الأمير إني أتيت إلى ناقبه ولم أعلم أن الفتنة بها كامنة، وذلك أن أهلها يجتمعون ليلة الغدير في دار رئيسهم الكبير، منهم والصغير، ويفرشون الدقيق الجوارى في موضع نظيف وهو في الحقيقة أنجس من الكنيف، وتختلط الرجال بالنساء ويكثرون الصياح والتصفيق[2] ويُمسك كل واحد واحدة ويطأها على ذلك الدقيق سواء كانت الممسوكة أجنبية أم قريبة، ولو بنته أو عمته أو خالته أو أمّه أو أخته، ويجعلون من ذلك الدَّقيق خبزاً يتبركون به طول العام، ولا يطعمونه إلا العزيز عندهم من الأنام، وقضى[3] إني دخلت معهم وتوهموا إنّي منهم، فلم تقع يدي إلا على عجوز أضعف من بختي، ثم إني تركتها لما صارت تحتي، ومددت يدي إلى غيرها طمعاً في خيرها، فصاحت العجوز وأكثرت البكاء والنَّحيب، وقالت غريب غريب، فأشعلوا السِّراج، وتوجهوا إليّ وضربوني

---

(١) مارن أنفه: طرف أنفه.

(٢) في (ح) الهتيف.

(٣) في (هـ) قصتي.

فأرجوا الله أن ينزل الله عليّ رحمته بعد بعدد[1] ما نزل من الضّرب عليَّ ورمـوني على المزبلة، وقد كادت أن تخـرج نفسي وأنا غـائب عن حسيٍّ، وما وصلت إلى مكـان الذي به رأيتموني، ومنـه رفعتموني إلاَّ بعـد سنة، ومـا ظفرت عيني فيهـا بسنه، فقال الناصر: فعند ذلك صرفت عنان العـزم عن الدُّخـول إليها وقلت: «إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها».

---

(١) في (هـ) بعد بعدد.

## المقامة الخامسة والأربعون

تعرف بالكليانية.

حدث النَّاصر بن فتاح قال: حصلت عليّ فاقة لم أجد منها إفاقة، وصرت لا أملك بطاقة وما لي على الصّبر طاقة، وسمعت بأن في بلدة كليان أميراً يحبّ الإحسان سيما لذوي الرُّتب وأرباب العلم والأدب فتيمَّمت مطية عزمي إليه وقلت: لعلَّ الله يجعل فَرَجي على يديه، ولما سرتُ ميلاً أو ميلين رأيت رجلاً مغلول اليدين دامي المنكبين باكي العيْنين فناداني وقال: حلّ وثاقي فإن روحي كادت أن تبلغ التراقي، فقلت: أخاف[1] ممن شَدّ وثاقك أن يقيّدني معك أو يشدّني ويرى إطلاقك فقال: إن من شدّني قد عبر الغبرا حزنها وسهلها وذهب إلى حيث ألقت رحلها، فعند ذلك حللت وثاقه وبادرت بإطلاقه فقبَّل رأسي، وأخذ في إيناسي، وسألني عن قَصْدي إلى أيّ مكان، فقلت: إلى أمير كليان، فقال: إن بيني وبينه مودة موروثة، وعهود صادقة غير منكوثة، وستأتيك[2] منه سعادة لا يحصل بعدها شقاوة، وأرقّيك رتبة لغيرك لا ترتقى، فقلت: إنه يميل إلى العلماء والفضلاء والكتّاب المنجّمين[3] والمغنِّين وأهل الآداب وليس لي إطلاع على شيء من ذلك ولا إلمام بما هنالك، فقال: إن أهل الهند لا يعرف الفضل منهم إلاّ الأقل إنهم كالأنعام بل هم أضل، وإني

---

(١) في (ح) عن.

(٢) في (ح) سأنبأ.

(٣) (ح) المنجدين.

سـأعرفهم بأن ليس لـك[١] في جميـع العلوم نظير[٢] ومتى سمعـوا قولي هـابك الكبير منهم والصغير والمأمور والأمير ولما وَصَلْنا تقدّم إلى الأمـير فعظّمـه وأجلسه قريباً من السريـر، وقال لـه أين غبـت هذه المـدة فقال: لقـد حصل عـليَّ ما لم يحصل على أحد من الشدة ولولا أن منّ الله عليَّ برجل سعيـد خلصّني من القيد لخرجت نفسي من موضع جلسي[٣] فقال لـه: إئتني به وعـرفني بحالـه وصفاتـه لنقـوم بمكافـأته، فـطلبت ورأيت المجلس قد غص بـأهله ممن يدعى أنـه للفرع وأصْله، وقام الرّجُل أمام الأمير وقال له يا ذا القدر الخطير هذا الرّجـل له اليـد الـطّولى في جميـع العلوم المنثـور منهـا والمنـظوم، والفـروع والأصـول، والمنقـول والمعقول، قد فاق أبناء زمانه القـديم منهم والحديث في علمي الفقـه والحديث، وفي التّصريف ليس لـه ثاني قـد فاق عـلى الزّنجـاني[٤] وفي النحو قـد أربى عـلى الأخفش[٥] والكسائي[٦] وسيبويـه[٧] وابن خروف[٨] الحضرمي والـربعي[٩] والفصيحي[١٠] ونفطوْيه[١١] وفي اللغة على ابن القطاع[١٢] وابن فارس[١٣] وابن

---

(١) ساقط من (هـ).

(٢) في (هـ) يطهر.

(٣) في (ح) حبسي.

(٤) الزنجاني هو عبد الوهاب بن ابراهيم الزنجاني المتوفى سنة ٦٥٥.

(٥) الأخفش هم ثلاثة أشهرهم سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١٥.

(٦) الكسائي هو علي بن حمزة المتوفى سنة ١٨٩.

(٧) سيبوية هو عمر بن عثمان المتوفى سنة ١٨٠.

(٨) هو علي بن محمد أبي خروف المتوفى سنة ٦٠٩.

(٩) الربعي: هو علي بن عيسى المتوفى سنة ٤٢٠.

(١٠) هو علي بن محمد الأستراباذي المتوفى سنة ٢١٦.

(١١) نفطوية هو ابراهيم بن محمد المتوفى سنة ٣٢٣.

(١٢) ابن القطاع هو علي بن جعفر المتوفى سنة ٥١٥.

(١٣) هو أحمد ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥.

زيد[١] وابن سيدة[٢] والجوهري[٣] وابن عبيد[٤] وفي الترسل على الصابي[٥] وابن العميد[٦] وفي الكتابة على الشابشتي[٧] وياقوت[٨] وابن البوّاب[٩] وعبد الحميد[١٠] وفي التنجيم على أبي معشر[١١] وابن المنجم[١٢] وأبي الحسن[١٣] وعلى ابن المهدي[١٤] والنّديم[١٥] ونَجْله ومخارق[١٦] وزلزل[١٧] والمارق[١٨] في الغناء والصَّوت الحسن، وفي بقية العلوم وهلم جر اما استغرقت واو العطف، ونفذ في السجع حرف الراء فسرّ الأمير بقدومي، وأسمعته شيئاً من منثوري ومنظومي، وقال للرجل: ساعدك القضاء والقدر كما أسعدتني برؤيته يا أبا الظفر وتحقق عندي أنه أبو الظفر الهندي، ثم إن الطلبة[١٩] أخذتهم الهيبة فهابوني، وخافوا أن يسألوني حتى أن واحداً منهم قال: سلوه عن بعض

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن زيدون المتوفى سنة ٤٦٣.

(٢) هو علي بن اسماعيل بن سيدة المتوفى سنة ٤٥٨.

(٣) هو اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣.

(٤) لعله أبو عبيدة معمر بن المثنى النحوي المتوفى سنة ٢٠٩.

(٥) هو أبو هلال المحسن بن ابراهيم الصابي المتوفى سنة ٤٠١.

(٦) ابن العميد: هو محمد بن الحسين المتوفى سنة ٣٦٠.

(٧) الشابشتي: هو علي بن محمد المتوفى سنة ٣٨٨.

(٨) ياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ (الأديب) وياقوت بن عبد الله المستعصمي المتوفى سنة ٣٨٩ (الخطاط).

(٩) ابن البواب هو علي بن هلال المتوفى سنة ٤٢٣.

(١٠) هو عبد الحميد بن يحيى الكاتب المتوفى سنة ١٣٢.

(١١) هو جعفر بن محمد أبو معشر الفلكي المتوفى سنة ٢٧٢.

(١٢) لعله هارون بن علي ابن المنحم المتوفى سنة ٢٨٨.

(١٣) كذا في الأصل.

(١٤) يحقق اسم المذكور وهو غير علي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي ولعله يعني ابراهيم بن المهدي المغني المشهور وفاته سنة ٢٢٤.

(١٥) هو ابراهيم بن ماهان الموصلي المتوفى سنة ١٨٨.

(١٦) هو أبو المهنا مخارق بن يحيى الجزار المتوفى سنة ٢٣١.

(١٧) هو منصور المغني عرف بزلزل أنظر أخباره في الأغاني ٥/ ٢٢ ـ ٢٧.

(١٨) لم أقف عليه ولعله تصحيف مخارق المغني المشهور.

(١٩) في (هـ) الطلعة.

المشكـلات، فقال لـه لا تعرضـوا أنفسكم للآفـات، ثم إن الأمـير أعـطاني مـا يكفيني مـدة حياتي ويكفي أولادي بعـد مماتي ثم بعـد ذلـك، عـاجلتـه صروف الزمان ولا شك «أن كل من عليها فان».

تعرف بالمرشدأبادية.

روى الناصر بن فتاح قال: لقد رأيت في الهند من العجب ما يكتب لندرته بماء الذهب، وذلك أنه جمع السّفر بيني وبين رجلين ومعهما كلب في جيده طوق من لجين واتفق أن مرض الكلب مرض الموت، وحين خشيا عليه من الفوت سمعتهما يتحدثان في سرّهما[1] ويتشاوران في أمرهما[2] فأحدهما يقول للآخر: يا أبتي يعز عليّ رمي الكلب للسّباع والذئاب والضّباع، والآخر يقول[3] لا تخف ولا تحزن فسنعيش بسببه العيش الحسن، فإن أهل الهند كالبقر لا يميزون بين الدّر والبعر، فأنت أنظر ما أفعل ولا تعارضني، ولا تسأل فإنّي سأصرف إليك وجوه العباد، وكان بالقرب بلد يقال لها مرشدأباد ثم لما مات الكلب كفّناه ووضعاه في صندوق وغشياه[4] بالحرير وحملاه إلى السوق وما وصلا إلاّ وقد دخل المساء وحثيا على رؤوسهما التراب وبكيا بكاء الخنسا ولما سئلا عن الميت وحقيقته ومذهبه وطريقته فبالغا غاية[5] الإغراق والغلو دونه فكاد أهل البلد أن يعبدونه، واجتمع الناس من كل ناحية ومكان، وباتوا طول ليلهم يقرؤون على الصّندوق القرآن، ولما أصبح الصّباح نادى المنادي حيّ على الفلاح واجتمع

(١) في (هـ) مسيرهما.
(٢) في (هـ) مسيرهما.
(٣) ساقط من (هـ).
(٤) في (هـ) وغشياه.
(٥) في (هـ) بها.

المأمور والأمير والصَّغير والكبير، وحمل الصّندوق بعد الصّلاة على متون الرِّجال ومشوا به مشي المهابة والإجلال وبنوا عليه بعد دفنه[1] قبّة عظيمة من بيت المال، ولم يزل أهل البلد وغيرهم يبالغون في تعظيم أمره ويأتون من البعد للتبرك به وزيارة قبره، وجلسا وهما للقبر مجاوران والنَّذر يأتي إليهما من كل مكان، فكان ما يأتيهما من النّذر في كل نهار[2] نحو مائتي دينار، غير المشروب والمطعوم والملبوس والمشموم، ومن غريب الاتّفاق أنه ما جاء عند القبر ذو حاجة إلّا قضيت ولا امرأة تريد الأولاد إلّا حملت، ومن جاوره أياماً بلغ الآمال، ومن حلف على القبر كاذباً أخذ في الحال، حتى ظهر صيته في جميع الأقطار، وسارت به الرُّكبان إلى جميع الأمصار وصيّروا له في كل سنة يوماً معروفاً، وبكثرة اجتماع الناس موصوفاً وأقمت عندهما نحو سنتين في عيشة راضية قرير العينين، ثم سافرت إلى الوطن للاجتماع بالأولاد والخدن[3] وبعد عشر سنين من الزّمان عدت إلى ذلك المكان، فرأيته مزروعاً بالعنب والتّين والرُّمان واليَقْطين، فوقفت في تلك الآثار حليف الأحزان والأفكار حتى مرّ بي رجل من تلك الفرقة الضَّالة وقال لي كأنك تنشد ها هنا ضالة[4] فقلت له إن عهدي بهذا المكان قبة عالية يأتيها الزُّوار من كل مكان، ولا أعلم أخسف بها الأرض أم رفعها الطوفان، فقال: نعم أخربها القاضي في العام الماضي، فقلت: وما السَّبب لهدمها: وما فعل الله بخدمها، فقال: كان بالقبّة رجل يقال له أبو الظفر، ومعه ولد يقال له أبو العبر، فاتفق أن ذهب الأب إلى بعض الأماكن والولد بالقبة ساكن، ولما جاء سأل ولده عما مسك من النذور في ذلك النهار المذكور فقدّم ما حصل بين يدي أبيه فقال ليس هو هذا ولا شك أنك خُنْت فيه، فقال الولد: إن اتهمتني في هذه الأمر أنا أحلف لك على القبر، فقال: أو تحلف لي على قبر كلب دفنته

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) في (ح) يوم.

(٣) في (ح) الخدان.

(٤) ساقط من (هـ).

بيدي، وحقيقة أمره عندي وتجادلا أشد المجادلة حتى كادت تحصل بينهما المقاتلة، وكان بالقرب منهما رجل جالساً في مكان عالي، فأخبر بالقضيّة القاضي والـوالي، فأمر القـاضي بهدم القبّـة بمعاول الحـديد وأمـر على الـرجلين بالضّرب والتعـزير والتقييد، وبعد مدة خرجوا مع جماعة من الحبس، وانهزموا «فتلك بيوتهم خـاوية بما ظلموا».

# المقامة السابعة والأربعون

تعرف بالهقلى بندر.

حـدّث النّاصر بن فتـاح سافـرت مع جمـاعة من أهـل منجر إلى هقـلى[1] بندر، فرأيت في الطّريق رجلاً يدّعي أنه من الأعلام [والنوبـة تضرب من خلفه وتمشي أمامه الأعلام][2] ومعه نحو مائة رجل من الخدّام وقد بلغ في التكبّر الغاية حتى لا يسمح بردّ السلام، فسألت عنه فقيل پـيرزاده فتقدمت إليـه، وما ظننت أنه بغير زاده فاستأذنت من حاجبه ودخلت وسلمت فردّ عليّ بحاجبه لما فيه من الكـبر والغرور، ورأيت مجلسـه[3] قد مـلىء من كل مكـروه ومحذور ورأيت أهـل تلك الجهة يقبّلون موضع أقدامه ويبالغون في تعظيمه واحترامه، ويأتون لرؤيتـه في الغـد والرواح[4] ويعتقـدون أن كل حـرام له مبـاح حتى أنـه لـو طلب بنت أحدهم أو زوجته لأرسلها إليه وَيَرى أن المنة في ذلك عليه، ورأيته يوماً يأكل في أواني الذَّهب فقلت في نفسي ياالله العجب ما بال أهل هذا الملك يظهرون بعض شعـائر الإسـلام ولا ينهـون عن المكـروه[5] والحـرام، وفـارقتهم وسرت إلى أن أدركت جماعتي الذين معهم أغراضي وبضاعتي ثم بعد مدة أقبل بطبـوله وأعلامه

(١) لم أجدها فيما عنـدي من مصادر ولعلهـا هكري بلدة تـابعة لـولاية بمبى انـظر معجم الأمكنة ص ٥٥.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في (هـ) الراح.

(٥) في (هـ) المنكر.

يزف به جمع من[1] أتباعه وخدّامه وسحر أهل البلد بسحره وخدعهم بخداعه ومكره، واستولى على أولادهم وعيالهم فضلاً عن أماكنهم وأموالهم، ولما تعجّبت من حاله، وضاق صدري من قبيح أفعاله، قال لي رجل: لو رأيت ما فعل بـزيرأباد وهان عندك ما ترى منه بهذه البلاد، فقلت له جعلت فداك أخبرني ببعض ما سمعته أذناك ورأته عيناك، فقال إن صدور الأحرار قبور الأسرار، وأخاف أن تُظهر أمره على الحكام فيجعلونه عبرة للأنام فقلت له: إن النّميمة عند جميع الناس ذميمة، فخذ مني العهد والذِّمام إني لا أذكر ذلك بهذه البلدة لأحد من الأنام، فقال: إني رأيته بتلك البلد يتخلق بخلق عظيم ويَعْطي الناس الطّريقة ولبس الخرقة[2] والتحكيم ويلبس الرِّجال في الملأ وأما النساء فلا يلبسهن إلاّ في الخلاء وإذا اجتمعن أمرهن أن يدخلن واحدة واحدة لأن له في ذلك فائدة ويضع سراويله في طاق مرتفع لا يناله إلاَّ ذو قدّ طويل، فإذا جاءت المرأه قال لها: انزلي السراويل فإن رآها مدّت يدها إلى سراويلها أولج ما معه في سبيلها، وإن رأى منها الخوف والإشفاق قال لها إنما أمرتك بتنزيل السَّراويل التي في الطَّاق، هذا ما صنعه بتلك البلاد، وبلغني أنه يفعل هذه أيضاً مع الأولاد، فقلت له: لا زلت أهلاً للإفادة أخبرني هل له اسم غير بيرزاده، فقال: نعم سمعت من رجل كندي أنه أبو الظفر الهندي، فعند ذلك عدت إلى ما كنت فيه من العمل أتلو قوله تعالى: **﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل﴾**.

(١) في (هـ) جميع.

(٢) لبس الخرقة عند الصوفية هو ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه وفيها معنى المبايعة وهي عتبة الدخول في الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد كل خير ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة وبمعرفة حقوقها والخرقة خرقتان: خرقة الإرادة وخرقة التبرك والأصل الذي يقصده الشيخ للمريدين خرقة الإرادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الإرادة.

## المقامة الثامنة والأربعون

تعرف بالجنّيرية.

حدث الناصر بن فتاح قال: سايرت جماعة من ملير[1] إلى بلدة جُنّير[2] ودعت الحاجة إلى الوصول إلى حاكمها والمتقلد أمورها والذابُ عن محارمها، ولما دخلنا إليه وسلّمنا عليه رأيته يتكلم مع رجل من أهل الكمال والمهابة والإفضال، ويلتمس منه تعليم أولاده الفقه والأدب وما يحتاجون إليه من لغة العرب، والرّجل يقول له بالسّمع والطّاعة، غير أني بسبب كثرة الأمراض قليل الاستطاعة، وعندي ولد أفصح مني في المحاورة وأقوم حجّة عند المناظرة ولو رآه المولى لرآه بهذه الخدمة أولى، فأمر الحاكم بطلبه ليقف على فضله وأدبه، ولما مثل بين يديه، ووقف تجاهه على قدميه، وقال له هل لك إطّلاع على شيء من العلوم ومعرفة المنثور والمنظوم فقال: أيها الأمير لا زالت الأقدار تجري على وفق مرادك، والشمس طالعة بهلاك حسّادك، أما الفقه فأنا عضده وساعده وأما الأدب فأنا أساسه الذي بنيت عليه قواعده، فقال الأمير للرّجل سل إبنك عن بعض المسائل الفقهية، ليحصل لكما كمال الأمنية، فقال: أيها الأمير لا زلت مؤيّداً بالعقل والفهم أأسأله بالنثر أم بالنظم، فقال له: من المعلوم أن الأسماع أكثر إصغاء إلى المنظوم فعند ذلك، قام الرّجل على رجله وأشار إلى نجله شعر:

---

(١) في (هـ) قليرا وهي معجم الأمكنة كلير: قرية صغيرة في مديرية سهارنبور تابعة للولايات المتحدة. (انظر معجم الأمكنة ٤٤).

(٢) جنير: بلدة تابعة لمتصرفية باسمها في مديرية بونا تابعة لولاية بمبى (انظر معجم الأمكنة ٢٠).

مـاذا يقـول إمـام العصر سيـدنـا ... في مـدنف قـد بـراه الشـوق والفكـر
فهـل يجـوز لـه تصـويـر فـاتنـه ... في قـلبـه أو يقـولـوا فـعله خـطر

فابتدو الولد بالجواب، وقال من غير توقف وارتياب شعر:

أقول تصويـر شخص الحب لا حرج ... فيـه ولا شـك في هـذا ولا نـظر
وأن يقـول حـرام مثـل مـا وردت ... من الأحـاديث قلنـا بـاحـه الضرر

فقال الأمير: لا فض فـوك ولا فقدك أبـوك، فقال الشيـخ لإبنه: أعـرني سمعك خدمك بنوك وحسدك ابن عمك وأخوك شعر:

مـا قول سيـدنا الحـبر الذي شهـدت ... لـه الفضـائـل بـالتّقـديم في الـزمن
في عـاشق ليس يـرجى بـرء علتـه ... إلا بتقـبيـل خـالاً عـلى حـسن[1]

فقال الولد: هديت للصّواب خذ الجواب شعر:

أقـول تـقبـيـلة لـلخـال لا حـرج ... فـيـه إذا كـان لا يخشى من الـفتـن
لأن تقبيـل خـال الخـد أهـون من ... مـوت إمرىء بـأليم الوجـد والحـزن

فعنـد ذلك قـال الأمير: لقـد صدق الشيـخ وما كـذب ولا شك أن هـذا الولد بهـذا الزّمن أفقـه من العجم والعرب، ثم دارت بينهم كؤوس الـطّرب[2] فجـاء الساقي إلى الـولد بـالكأس المعهـود وسألـه عن اسمـه فقـال إسمي هـود فقال[3] شعر:

يـا هـود أوليتـا المعهـود من كـرم ... يـا حبـذا لـك من معهـود مـع هـود

ثم جـاء إليه سـاق غير الأول بكـأس، وقد أخـذت منه الـراح بمـا عليـه المعولي، فقال له: ما اسمك يا سولي، فقال إسمي مولى فقال[4] شعر:

مولى الجميل بمعمول[5] الرِّضاب آتي ... فيـا حـلاوة خمـر الثغـر مـع مـولي

---

(١) كذا في الأصول.
(٢) في (ح) القرب.
(٣) ساقط من (هـ).
(٤) ساقط من (هـ).
(٥) في (ح) معسول.

ثم جاء ساقٍ آخـر غير الأولـين إلى الولـد بكأس، وقـد تغيرت منـه هيئة العينين، فقال له: أهلاً بالحامـل والمحمول مـا اسمك، فقـال الساقي: اسمي سولي فقال شعر:

فقلت أهـلاً بكأس الـرَّاح مع سولي | الـســول وافي بهــا كــأس معـسَّـلة

ثم التفت الشيخ إلي الوالي، وقال له: ألم أقل لك إنه ينثر من فيـه اللآلي وما جادت بمثله الأيام والليالي، فقال الأمير: لقد أنصف الشيخ فيـما حكم ومن أشبـه أبـاه فـما ظلم، وفـوَّض إلى الـولـد تعليم أولاده، وجعله خــطيب جمعـه وأعياده، وأجرى له جرايات وخلع عليه خلعـاً سنية، وصـارت له عنـده منزلـة عليَّة وصار باب الخير عنده حتى جبلت على محبتـه قلوب الرّعيـة وسمعت قائـلاً يقول عند سـماع كلامـه: لله درّ هذا الأفنـدي[1] والآخر يقـول إنما هـو ابن أبي الظفر الهندي، وعدتُ إلى منزلي ملتهب الأحشاء أتلو «يعزّ من يشاء ويُـذل من يشاء».

(١) الأفندي: لعب بطلق على صاحب الفنـون. وقيل أصـل اللفظة روميـة بمعنى السيد الكبـير (تاج العروس ٢/ ٤٥٥).

## المقامة التاسعة والأربعون

وتعرف بالسنقمرية.

حدث الناصر بن فتاح قال: سافرت إلى سنقمير مع بعض الأقبال وكانت سفرتي من العثرات التي لا تقال لأن عيني لم تر فرحاً إلاَّ بنقطة فراده، ولا خيراً إلاَّ بلا ياء ودونه خرط القتادة، ولا بِشْراً إلا بلا[1] باء ولا بشراً إلاَّ لم يعرف حلاوة الإباد ولولا حلاوة رمانها لفارقتها بُغضاً لها ولـولدانها، واتفق أن جاء إليها حاكم من أهل فارس جزيل الفضل وافر العقل طيب المغارس، فبقيت أتردد إلى فسطاطه[2] وآكل من سماطه، ولم يزل حليف الأحْزان لمفارقته الأوطان، فقال له الطبيب: إن مما يذهب الحزن مشاهدة الماء والخضرة والوجه الحسن، فقال أما الأوَّلان فموجودان وأما الثالث فمعدوم بهذا المكان، ثم بلغه بالقرب من البلد قبّة لبعض الصَّالحين يجتمع بها كل من بقربها حتى الفلاحين، فذهب إليها رجاء أن يرى مع اجتماع النَّاس مليحاً حسناً طيّب الأنفاس، فلم ير بها إلاَّ وجوهاً باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة، فأكثر التنفس والزَّفير وتمثل بالبيت الشهير شعر:

لك الحمد أما من نحب فلا نرى ... وننظر من لا نشتهي فلك الحمد

وكان إلى جانبه رجل من أهل الكمال، وأنا على يمينه، ورجل يقال له أبو

---

(١) زيادة في (هـ).

(٢) السرادق من الأبنية ومجتمع أهل الكورة وبعضهم يقول كل مدينة جامعة فسطاط. (انظر محيط المحيط ٦٢٠).

الظَّفر من جهة الشمال، ولما أنشد الحاكم البيت قال له الفاضل: لو أذنت أن اقتفي اثر صاحبه واتبعه، بل لو أذنت لي أن أسبِّعه فقال أبو الظفر: سبحان الله البصير السميع وهل به نجاسة كلبية حتى يحتاج إلى التَّسبيع، فقال الحاكم: يا أبا الظفر إن من لم يعرف الأدب لا يفهم رموز كلام العرب، وأخذ في محادثته وتانيسه ثم كرّر البيت وقال: يا أبا الظفر أتسعفني بتخميسة، فقال شعر:

مكثت زماناً أطلب الحسن في الورى[١] فلم أر بين الناس وجهاً منورا

فقلت وقد شاهدت من ساء منظراً لك الحمد أمّا من نحب فلا نرى

ونظر من لا نشتهي فلك الحمد

فعند ذلك حكم له الحاكم من الصرّ[٢] بما يكفيه أيام البرد والحر، وجلسا يتحدَّثان بأحاديث العشق والهوى، وما تتخيّره النفس على المن والسلوى، ثم جاء الخبر إلى الحاكم بأن العدو حال بينه وبين بلاده، فحصل الخفقان والإضطراب لفؤاده، لأن معه[٣] فئة قليلة، وليس له على الدّفع حيلة، فسكت طويلاً مفكراً وأنشد متمثِّلاً ومتحسِّراً شعر:

ما حيلة الرامي إذا التفت العدا وأراد يرمي السهم فانقطع الوَتر

فقام أبو الظفر بين صفوف الرِّجال وأنشد مرتجلاً في الحال[٤] شعر:

فعليه بالتسليم فيما نابه وليجتهد فيما يرد به القدر[٥]

وعجز الحاضرون بعد إعمال الفكر عن الإتيان بمثل بيت أبي الظفر، فقال الحاكم: إن هذا البيت[٦] ليس فيه لو وليت وأقسم بالبيت المعمور إنما جواب

---

(١) في (ح) القرى.

(٢) الصرّ: عند التجار ما يصرّ من الدراهم والدنانير فيرسل إلى الجهات.

(٣) ساقط من (هـ).

(٤) ساقط من (ح).

(٥) في (هـ) القذا.

(٦) ساقط من (ح).

البيت المشهور إلا هذا البيت المعمور، ولا شك أن أبا الظفر يستنزل الدراري من أفلاكها، وينظم(١) الدّرر في أسلاكها، ويضع كل شيء في محله ويميز بين سخيف القول وجزله، وأما بيته هذا، فبيت غريب يصح أن يكون من شواهد التّهذيب والتأديب، ثم إن الحاكم استقبل القبلة مبتهلاً وبالرّسول وآله متوسِّلاً، ولم يبرح أن نزل من السماء بَرَد كقطع الجبال فأهلك من العدو الخيل والرِّجال، فسجد الأمير شكراً على استجابة دعائه وفرحاً بما دفع الله من عظيم بلائه، وقام أمامه أبو الظفر وهنّاه بالفتح والظفر، فقال له الحاكم: هذا كله ببركة إشارتك وبيتك [الذي أنبأ عن بلاغة عبارتك فله درك من بديع أربى على البديع، وإنما هو واسطة قلادة البديع](٢) فقال: أدام الله لك النعم وكفاك الأسواء والنّقم ليس هذا مما كسبته من العلوم الأدبية وإنما هو مما رزقته من المواهب اللُّدنية، فقال له: هنيئاً لك هذه السعادة الأخروية والمفاخر الدينية، والدنيوية، ثم أعطاه من المواهب الكثيرة، والملابس ما خرج به يفاخر وينافس، وسافرت متفكراً فيما حصل له من الفتح بنزول البرد والماء وأتلو قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.

---

(١) في (ح) ينظر.
(٢) ساقط من (ح).

## المقامة الخمسون

### تعرف بالسيالكوتية.

حدث الناصر بن فتاح قال: بلغني أن أبا الظفر الهندي ببلد سيالكوت(١) يعالج سكرات الموت، وقد اجتمع لعيادته(٢) جماعة من الأدباء والكتاب والخطباء، فأحببت أن أعوده لأسمع من أخباره وأروي عنه شيئاً من أشعاره، فدخلت عليه فوجدته يجود بنفسه وقد ذهل بما يعاني عن ولده وعرسه، وعقله يحضر ويغيب وطرفه يقبل(٣) ويطيب، ثم أفاق والتفت إلى من حضر وقال: ألا إن من عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو الظفر فصحّحوا التَّوبة واخلصوا النِّيَّة واسمعوا [ما] أنا أوصيكم به من الوصية راقبوا خالق البرية، واذكروا الموت بكرة وعشية، واعلموا أنه يقتحم على بني آدم كاقتحام الشيب على الشباب، والذباب على الحلو من الطعام والشراب، ومن عرف الدُّنيا لم يفرح بها فإنه لا يأمن من عذابها بَيْنا هو آمن إذ أتته بالخوف من حيث لا يعلم فهنالك يندم على ما فرط حيث لم ينفع الندم، ومن عطف عليه اللَّيل والنهار أرداه، ومن وكّل به الموت أفناه، وكيف يفرح بعمر تنفقه الساعات، وسلامة بدن(٤) يعرض

---

(١) سيالكوت: مدينة في شمال شرق الباكستان الغربية (محافظة لاهور) (انظر المنجد في اللغة ٣٧٥).

(٢) في (ح) لعباده.

(٣) في (ح) يعقل.

(٤) في (ح) معرض.

للآفات، ثم إنه أغمى عليه زماناً وأفاق، فقال له بعض الرفاق كيف حالك، فقال: إني سقيم وكيف لا وقد سمعت[1] قول الحكيم: كيف يكون حال من أراد سفراً بعيداً بغير زاد، ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بغير أنيس، ثم قال: كيف يركن المرء إلى دهر يقرِّب الأجل، وكلما فيه منقطع الأمل، وما وصف أهْل الدُّنيا[2] أحد كالكريم الأعز الأديب عبد الله ابن المعتز[3] فإنه قال: أهل الدنيا ركب يسار بهم وهم نيام، وأنا أرى إنما هم فيه أضغاث أحلام ثم أغمى عليه، ثم أفاق وهو يبكي، ويقول: يا من حارت فيه العقول إن لم أكن أهلاً أن أبلغ برحمتك، فرحمتك أهلاً أن تبلغني لأنها وسعت كل شيء، ثم سكت، فقلت له: ادع لي وأوصني، فقال: أطعمتك يد شبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء جادت، ودع الأباطيل، واسمع ما قيل شعر:

سل الخيرَ أهل الخير قدماً ولا تسل فتى ذاق طعم الخير منذ قريب

فقلت: زدني فقال: إن أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل، وخف الله كأنك لم تطعه وارج الله كأنك لم تعصه، فقلت: أنشدني شعراً، فقال أما مما سبق فلا، ولكن خذ إبن الآن وأنشد باكياً متذلِّلاً شعر:

دع ادّكار المنزل وكل قصر معتل
ولا تكن كالمهمل واعمل لأول منزل
واذكر زماناً قد مضى ضيعت ما قد فرضا
مولاك حتماً وقضا واسلك طريق الكمل
واندب ذنوباً سالفة سودت منها السالفة
ودع رجالاً خالفة عن الصراط الأمثل
طوبى لعبد قد وعى قولي وللحق دعا
وللخطايا وادّعا ولكل فعل مبطل

(١) في (ح) ما قال.
(٢) من هنا سقط قدر ورقة في (ح).
(٣) هو عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٢٩٦ من أكبر الشعراء (معروف).

يـا مـن عـليـه المـعـتـمـد　　يـا مـن عـليـه المـسـتـنـد
اصـلح فـؤاداً قـد فـسـد　　واغـفـر لـعـبـد مـبـتـل
ضـاق بـعيبـيـه الـفـضـا　　وخـاف مـن يـوم الـقـضـا
فـامـنـن عـليـه بـالـرضـا　　وكـن لـه نـعـم الـولي
وصـلّ مـا هـبّ الـصـبـا　　تـعـداد أزهـار الـربى
عـلى الـنـبـي المـجـتـبـي　　وآلـه ومـن يـلي

ثم سكت وغفا وظننا أنّه انطفى، فأفاق، وقال: ما رجاء من غرته الآمال، ونظر إلى الدنيا ومال، ورغب في الجاه والمال، مسكين ابن آدم أما يعتبر أن يدفن بيديه، ويعلل بكفيه يمشي على الأرض مرحاً، ويضحك سروراً أو فرحاً، ولم يفكر في عاقبة أمره، وما يلقاه عند حلول قبره، طوبى لعبد تاب توبة نصوحاً، وراح من الدنيا جسداً وروحاً، وعمل لما يُقدمه بعد موته واكتفى من الدنيا بقوته، أدعو لي أيها الأخوان الأبرار، فإني كثير الأحزان والأفكار، حيث لم أدر أيذهب بي إلى الجنة أم إلى النار. إلهي إن عذبتني فبذنوبي وعدلك، ولا يزيد في ملكك شيء، وإن عفوت عني فبفضلك ولا ينقصُ من ملكك شيء، وأنا العبد الآبق العاصي الذي إلى كل قبيح سعى ومشى غير أن لي حسن ظن بك، وقد قلت على لسان نبيك عليه السلام: أنا عند ظن عبدي بي[2] فليظن بي ما يشاء[1] ثم نطق بالشهادتين، وأفاضت نفسه في ذلك الحين، فبادرنا إلى تجهيزه وغسله وتنجيزه، ثم لما واريناه في حفرته، قام بعض تلامذته، وقال قولوا تغمّده الله وإيانا برحمته، وأسكننا وإيّاه فسيح جنته، ثم بكا كبكاء اليتيم، وأنشد بما يشبه الدر النظيم شعر:

سقى الله قبراً ضم أقدامك التي　　سعيت بها دهراً لنفع الخلائق

---

(١) من هنا ينتهي السقط من (ح).
(٢) حديث «أنا عند ظن عبدي فليظن بي» رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة مرفوعاً (انظر الشهاب للقضاعي ٢/ ٣٢٢).

وحيا لساناً كان بالحق ناطقاً ... وما زال بين الناس يدعى بصادق
سيبكي عليه الحلم والفضل والندى ... وكلُّ أديب كامل الفضل حاذق
ويبكي عليك البحر والبر والسما ... مع الأرض والأشجار بل كل شاهق[1]
عليك سلام الله حيًّا وميتاً ... وحياك ربي ما بدا لَمْعُ بارق

وهذا آخر ما رأيته وسمعته وكتبته وحفظته وأرجوا أن لا نواخذ بالزِّيادة والنّقصان، والسهو والنسيان اللهم اجعل خير عمري آخره، وارزقني رضاك في الدّنيا والآخرة، وصل على نبيك المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين[2].

---

(١) في (ح) بارق.

(٢) في (ح) زيادة من عند المؤلف قوله: وكان الفراغ من تسطيره وتنميقه وتحريره يوم الأحد ثامن جمادى الثاني سنة ثمان وعشرين بعد مائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين آمين. وبهذا التاريخ عرف زمن المؤلف.

# الفهرس

زاوية العيدروس العلمية

بحوطة آل أبي علوي بتريم

Telegram

منتدى

لواء النور